الشعر في بلاط عمر بن عبد العزيز

محمد نافع المصطفى
كلية الآداب والعلوم، جامعة الشارقة
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

الخلاصة

جاء عمر بن عبد العزيز بن مروان في مرحلة زمنية، مثلت حلقة متميزة في سلوك بني أمية، الذين حرصوا على اصطناع الشعراء، وتسخير طاقتهم الفنية في الدعاية لهم، والتمكين لسلطانهم، حتى غدا الفن الشعري وسيلة ارتزاق. ولكن عمر حرم الشعراء مما خصصه أسلافه لهم من بيت مال المسلمين، وأعطى الفقراء والمحتاجين. وازْوَرَّ عن شعراء المجون، وتجهم للمداحين منهم ؛ ليخلو وجهه لمن يعين على الحق والخير، رغم خوفه من فتنة القول.

واستعرضت تلك الأشعار، وما أخليتها من تحقيق وتعليق. ورأيت تحول كثير منها إلى الصورة التي تشد إليها الخليفة الراشد، إذ صيغة كل زمان منتخبة من سلطانه، والشاعر أشبه شيء بزمانه. ولذا اضطررت إلى الحديث عن المهاد النظري الجديد الذي سينهض إليه الشعر – حيث الموقف الإيماني، وسبيل الراشدين – وذكر السبل التي ركبها الشعراء، والأغراض التي استأثرت بفنهم، والخصائص الفنية لتلك الأشعار، فلم تخلص للرواسم الجاهلية وقيمها، ولم تتنكر للسبيل التي شققها شعراء صدر الإسلام، وإنما حاولت الاستفادة من ماض ماثل، وواقع ناهض. وكانت نسبتهما في تلك الأشعار متفاوتة بتفاوت الشعراء والأغراض الشعرية.

ABSTRACT

When Omar Bin Abd-Alaziz had the power, he played a big role among the rulers of Omayyad dynasty who were very generous patrons to the most famous poets at that time. In return, those well-known poets were their mouth voices, who fight against their rivals. They were, exactly, playing the role of huge machine of Propaganda now days.

Omar did not encourage the poets or sympathizes with them; in return, he discouraged and deprived them of money because of his piety. He, also, was convinced that such money must go to poor people.

I introduced the study with a survey on the body of poetry that responded to Omar attitude, which reflects the close relation between the ruler and his people. The poetry of this period had its own artistic characteristics and themes. The poets benefited of both pre-Islamic and early -Islamic poetry on different levels.

المقدمة:

أفلت شمس الخلافة الراشدة، مع أفول نجم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وطوي نظام الشورى معه، حيث الحرية في الاختيار والمعارضة ؛ لتبدأ دورة زمنية جديدة مع الملك العضوض، حيث الاستخلاف المتوارث، الذي سحق كل المحاولات الجادة لإعادة الحكم إلى منهاج النبوة، وسنة الراشدين. فخلا له الجو على الدماء والأشلاء، واتباع الأهواء. على الرغم من الجوانب المشرقة التي حققها في نشر الإسلام، ومد رقعته في أرجاء شاسعة من الأرض... ولا ينكر تزيد الشانئين على بني أمية، وتضخيم صورة الانحراف في حياتهم، إذ لم يكن انحرافهم من الانحرافات العقدية. وإنما من الانحرافات السلوكية التي تغري بها الأهواء والشهوات.. وكان أعظمها خطرا في حياة الأمة تحولهم بالحكم عن سنة الراشدين. فحرم الأمة من حقها في اختيار الأئمة ومراقبتهم وعمالهم، ومكّن للسلطة من الاستئثار بأموال المسلمين، وشراء الأنصار والأشياع، واصطناع الشعراء للدفاع عن سياستهم التي جرت على الرعية مظالم كثيرة، وترسخت هذه السياسة مع تلك السنن الكـابية التي ابتدعها بنو أمية، وأضحت أصولا في سياستهم – ولم تكن من سنن الهدى. فمكنت للمصالح الذاتية ولو على حساب مآثر الإيمان، ولتجار صناعة الكلام من الخطباء والشعراء على حساب الناصحين المشفقين..

لا شك أن التركة التي انتهت إلى عمر بن عبد العزيز كبيرة وثقيلة وشائكة. كما قال: (ألا وإني أعالج أمراً لا يعين عليه إلا الله، قد فني عليه الكبير، وكبر عليه الصغير، وفصح عليه الأعجمي، وهاجر عليه الأعرابي، حتى حسبوه لا يرون الحق غيره)⁽١⁾ إن الموروث كان يمثل حالة انفصام بين المبادئ والتطبيق، وبين النظرية والواقع. وإن تغيير مجرى التاريخ، أو تحويله إلى وجهة جديدة، أو إعادته إلى ما كان عليه بعد تطاول الزمن، لا يتحقق إلا من خلال رجال دفعت بهم الأقدار ؛ ليحملوا هذه المهمة الثقيلة، وهي تجديد أمر الدين في حياة الأمة ؛ كي تعود إلى الطريق القويم، حيث الكتاب والسنة.. وعمر بن عبد العزيز لم يقم إلا بعمل واحد – ولو هالتك النتائج العظيمة، والنقلة الواسعة –.

المهاد النظري الجديد للشعر:

قد يدابر الدارس الحقيقة، أو يمزقها أشلاء إذا قيد نظره بالمظاهر والأعراض – التي تكسبه تبريرات واهنة مضلة – لكل قفزة نوعية تحققها الأمة المسلمة في صعودها إلى القمة، ولم يتمكن من الغوص فيما وراء الأحداث ومستجداتها الشائعة. حيث العقيدة

المتوهجة الدافعة إلى سبيل الإصلاح والتجديد. ورجال تلك المراحل المضيئة ثمرة صناعة تلك العقيدة، التي تفجر الطاقات، وتصقل القدرات، وتحكم الخطوات، من غير نكران للمؤهلات الشخصية. ومن وراء ذلك الأقدار الغلابة التي ترعى ملكات التجديد في حياة الأمة. (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها)(٢). وكان عمر على رأس المائة الأولى. ولا يشغلنا ذكر ما سبق عن التلاحم بين المقدمات والنتائج، الذي لا يفصم بادعاءات باطلة، أو بتعلات كسيحة. وإن كانت الأحداث لا تتحرك بمعزل عن السنن الربانية المعقودة. كما أن الواقع الحياتي ينبثق من تصور عقدي – يمكن صاحبه من ضبط الأهواء الجائرة، والشهوات المنحرفة. ولذا كانت حركة التغيير تنطلق من ضمير الإنسان، لبناء الواقع وفق التصور العقدي الذي يحمله، متفاعلا مع السنن الربانية، والأقدار الإلهية التي تنجب الصورة الماثلة في حيز من التاريخ.

لقد أحال عمر بن عبد العزيز الشريعة إلى حياة، وأقام لها سوقاً في حياته أولاً ثم في حياة الأمة. بعد أن أتقن استثمار عوامل التغيير وتفعيلها. فحقق نجاحاً عظيماً في فترة زمنية يسيرة، قعد أسلافه – بعد إيثار للعاجلة – عن تحقيقها. وشداة الحق يجهرون في وجوههم بأسباب ركود الحياة وضنكها، إذ يأبى ضميرهم أن يصالح تلك الانحرافات، وأن يتنازل عن القمم السامقة. فهذا سلمة بن دينار يقول لسليمان بن عبد الملك - وهو من صالحي بني أمية -: (ما أقول في سلطان أخذ عنوة، بلا مشورة من المؤمنين، ولا اجتماع من المسلمين، فسفكت فيه الدماء الحرام، وقطعت به الأرحام، وعطلت به الأحكام، ونكثت به الحدود... والجمع لمتاع الدنيا المشينة. ثم لم يلبثوا أن ارتحلوا عنها، فيا ليت شعري ! ما تقولون، وماذا يقال لكم؟!(٣).

وهذا رجل يدخل على سليمان بن عبد الملك، ويسمعه تشخيصه لواقع الأمة، فكان كما قال: (أما إذ أمنت بادرة غضبك – وفي هذا إشارة إلى عواقب قول كلمة الحق على قائلها فيما سبق – فإني مطلق لساني بما خرست عنه الألسن من عظتك، لحق الله عز وجل، وحق إمامتك يا أمير المؤمنين. إنه اكتنفك رجال أساؤوا الاختيار لأنفسهم، فابتاعوا دنياك بدينهم، ورضاك بسخط ربهم، خافوك في الله عز وجل، ولم يخافوا الله عز وجل فيك. فهم حرب الآخرة سلم الدنيا ؛ فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه، فإنهم لم يألوا الأمانة إلا تضييعاً، والأمة إلا عسفاً، والقرى إلا خسفاً. وأنت المسؤول عما اجترحوا، وليسوا مسؤولين عما اجترحت. فلا تصلح دنياك بفساد آخرتك) (٤).

إنها الانحرافات التي تردى فيها بنو أمية، وأودت بهم إلى سبل ملتوية مصبوغة بالدماء. قادتهم إلى الاستئثار بالأموال، وتولية الظلمة ؛ طلباً لاستقرار عروشهم،

والتنعم بسلطانهم، ولو استنزف ذلك دماء غزيرة من دماء رجال الأمة، وأحدث انشقاقاً بينهم، بل تحول بعضهم إلى تجمع مذهبي أبعد الشقة عن كيان المسلمين.

وعلاج تلك الآفات عودة بالحكم إلى خلافة على منهاج النبوة، وسنة الراشدين، حيث تلتقي القلوب على المحبة، وتطمئن الرعية بالعدل، وتثق بالنزاهة والتقوى... فألقت الأمة قيادها إلى عمر بن عبد العزيز، ليقود ركبها إلى سعادة الدارين. فانقمع النفاق والتسلط، وعز أهل الطاعة والاستقامة، وعلت منائر الحق، وأعلام العدل.. وما حقق عمر ذلك إلا بصدقه مع نفسه وعقيدته ورعيته وآخرته. فتبدل وجه الحياة وهي تصاغ على عين الوحي وسنن الرشاد.

نشأ حفيد الفاروق أبو حفص رضي الله عنه في بيئة صالحة مترفة، يتقلب في ظلال مباهج الدنيا (فكان أعظم أموي ترفهاً وتملكاً. غُذّي بالملك ونشأ فيه. لا يعرفُ إلا وهو تعصف ريحه، فتوجد رائحته في المكان الذي يمر فيه، ويمضي له مشية، تسمى العمرية) (٥). ولم يمنعه ذلك من الشغف بالعلم، والتعلق بحلقات العلماء. فآثر مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم على غيرها من الأمصار ! إذ كانت وقتها منارة العلم، وموطن العلماء والفقهاء والأدباء والزهاد. فاختلف إلى أعلامهم، وانقطع إلى العلم، وحفر عنه، وجالس أهله، وأنفق أيام شبابه في أحضان التابعين. فأضحى (إماماً فقيهاً، عارفاً بالسنن، كبير الشأن، ثبتاً حجة حافظاً، قانتاً لله، أواهاً منيباً) (٦). ولم يؤثر عن أحد من أبناء عمومته من سار مسيرة عمر هذه. وكان مع ذلك على أناقة وتجمل، التفّت على خلق رفيع، وأدب جم. وطهر وعفة. وخوف من الله شديد. (وكان الذين يعيبون عمر بن عبد العزيز، ممن يحسده، لا يعيبونه – في الشباب – إلا بشيئين: بالإفراط في النعمة، والاختيال في المشية. ولو كانوا يجدون ثالثاً لجعلوه منهما) (٧). والكامل من عدّتْ هفواته، ولا تُعد إلا من قلة. ويتوفى والده، وهو على مصر أمير، فيخاطه عمه عبد الملك بولده، ويقدمه على كثير منهم، ويزوجه بابنته فاطمة، التي يقول فيها الشاعر:

بنت الخليفة، والخليفة جدها أخت الخلائف، والخليفة زوجها(٨)

ويرث الوليد بن عبد الملك الحكم عن أبيه، فيختار عمر بن عبد العزيز لولاية المدينة، وهو ابن خمس وعشرين سنة. ولما نزلها (دعا عشرة من فقهاء المدينة: عروة بن الزبير وأمثاله..... فدخلوا عليه، فجلسوا، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: إني دعوتكم لأمر تؤجرون عليه، وتكونون فيه أعواناً على الحق. ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم، أو برأي من حضر منكم. فإن رأيتم أحداً يتعدى، أو بلغكم عن عامل لي ظلامة، فأحرج الله على من بلغه ذلك إلا بلغني، فخرجوا يجزونه خيراً، وافترقوا) (٩).

إن اتخاذ الصالحين الناصحين بطانة، من دون المتملقين المرتزقة معلم من معالم الاستقامة، فأحسن سياسة الناس، إذ سار فيها سيرة الصالحين بعزم وحزم، فأقام ميزان العدل، في وقت كان الناس يضجون بمر الشكوى من جور الولاة، وعسف العمال. مما جعل المدينة مأوى الخائفين، وملجأ الهاربين من الظلم والجور. فلجأ إليها جلّ من هرب من بطش الحجاج. وكان عمر قد كتب إلى الوليد يخبره بعسف الحجاج وعماله بالعراق، واعتدائه عليهم، وظلمه لهم بغير حق ولا جناية. وبلغ الحجاج ذلك، فاضطغنه على عمر، فكتب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك: (إن عمر بن عبد العزيز قد صار كهفاً لمنافقي أهل العراق، فما أحد يهرب منهم إلا لجأ إليه) (١٠).

وكان عمر يمقت الحجاج وأمثاله من الجبابرة ويبغضهم، بغضه الجور والطغيان وإذلال المسلمين. إذ ملؤوا الأرض جوراً. فكان يقول: (الوليد بالشام، والحجاج بالعراق، وقرة بن شريك بمصر، وعثمان بن حيان بالحجاز، ومحمد بن يوسف باليمن، امتلأت الأرض والله جوراً) (١١). ولذا سعت حراب البغي، ومبغضو العدل والحق لإزاحة عمر بن عبد العزيز عن إمرة الحجاز، لئلا يخلو للناس وجه الرحمة والإنصاف. ولإخفاء الصورة الوضاءة التي تجسدت في إمرة عمر، ولطمس أوجه المفارقات بينه وبين جبروت الطغاة. إذ نعمت الحجاز بولايته ستة أعوام، كما قال الأحوص بن محمد الأنصاري: (١٢)

وأرى المدينة إذ وليت أمورهـا   أَمِن البريء بها، وخاف المذنب

فتنحى أهل النفاق والرياء والارتزاق عن عمر في ولايته هذه. كما اعتزل الفقهاء الخلفاء والولاة غيره. وانقطعوا عنهم. إلا عمر الذي أدنى مجلسهم، فمحضوه نصحهم، وأجلّوه فأتوه (فكان سعيد ابن المسيب لا يأتي أحداً من الأمراء غير عمر. أرسل إليه عبد الملك فلم يأته، وأرسـل إليه عمر فأتاه) (١٣).

ولم يتنكر عمر بن عبد العزيز للحياة الرافهة والمترفة. بل نال من النعيم نصيباً وافراً، من غير أن توقعه في غير ما لا يحل، بل كان فيما سوى ذلك آخذاً بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم. تعمر قلبه الخشية من الله تعالى. وكانت حاله وهو أمير المدينة كما قال ابن الحكم: (ثم ولي عمر على المدينة، فسار بأحسن السيرة، وكان مع ذلك يعصف ريحه، ويرخي شعره، ويسبل إزاره، ويتبختر في مشيته، وهو مع ذلك لا يغمص عليه في بطن ولا فرج ولا حكم) (١٤). ولم يكن يومها نافراً من الشعر والشعراء، سوى أهل المجون والفحش والإقذاع. فقد جفاهم بل ونفى بعضهم عن المدينة كما سنرى فيما بعد. ويخاف سليمان بن عبد الملك أخاه الوليد في الحكم، وكان

من أمثل من سبقه. وأحسنهم حالاً، ويرجع إلى دين وخير ومحبة للحق وإظهار الشرائع. وحسبك أن يتخذ عمر بن عبد العزيز مستشاراً له ووزيراً. وخليفة على المسلمين من بعده. وكان عمر نعم الوزير الناصح الأمين، يدله على الخير ويعينه عليه، ويذكره الله واليوم الآخر، وكان فضله ظاهراً.. وأتاحت له هذه المكانة فرصة لمعرفة أسرار الحكم، وركائز الجور، ومفاصل الانحراف. مما وفر عليه جهوداً كبيرة، وزمناً طويلاً، وهو يعيد الحكم إلى السيرة المرضية.

وفض رجاء بن حيوة كتاب العهد الذي خلفه سليمان – وهو من أشار عليه بالعهد إلى عمر بن عبد العزيز – فتغيرت وجوه بني أمية، تنكراً للمرحلة الجديدة التي قفزت صورتها مع صورة عمر إلى مخيلتهم، وهم أدرى بتطلعاته وأشواقه وعزيمته.. وما كان عمر رضياً بالاستخلاف هذا، لأنه يدرك تماماً أن السلطة ابتلاء، وهي حسرة وندامة، إن لم يقم بحقها. وكل نعمة لا تقرب من الله بلية.

ولم يحفل عمر بالخلافة التي انتهت إليه بالعهد والاستخلاف. لأنه يعتقد أن منصب الإمامة العظمى لا يمنح بعهد من أحد، ولا يملك هذا الحق سوى الأمة، فهي صاحبة الحق في اختيار من تسند إليه أمرها، ليسوسها بشرع الله تعالى، ولا يكون إلا في أهل التقوى والأمانة والقوة، الذي يأخذ بيد العباد إلى أفياء الصلاح والعدل.

ولذا نفض يده من تلك البيعة، بعد أن اعتلى المنبر، فقال: (أيها الناس، إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه، ولا طلبة له، ولا مشورة من المسلمين. وإني قد خلعت مافي أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم، فصاح الناس صيحة واحدة، قد اخترناك يا أمير المؤمنين، ورضينا بك، فَلِ أمرنا باليمن والبركة) (١٥). ولم يكتف ببيعة من بايعه في ذاك الموقف، بل اشترط عليهم موافقة أهل الأمصار ورضاهم به (وإن من حولكم من الأمصار والمدن إن أطاعوا كما أطعتم، فانا وليكم. وإن هم نقموا فلست لكم بوال) (١٦). وكتب إلى الأمصار الإسلامية بذلك، فبايعت. فكانت البيعة عامة – على الرغم من زهده بها - وعلى النهج الراشدي. ورضي المسلمون عامة به. حتى خصوم أهل بيته من الشيعة والخوارج.

لقد أعاد عمر الخلافة إلى جادة الهدى، وأحيا بذلك النهج الإيماني لها. تواقاً من ورائها إلى الجنة، التي لا يحظى بها إلا الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً.. بعد أن انقلب على ما سنه أسلافه في سياستهم الناس، وأقام واقعاً جديداً في دنياه ودنيا الأمة.. إذ تملكت الخشية والإشفاق قلبه، مستشعراً عظم التبعة التي ألقتها الأمة على عاتقه، فعلم أن الأمة لا تمسك عن الباطل، ولا تقلع عن الانحراف، ولا

تنفطم عن الشهوات المذلة بقرار آمر بذلك من السلطان فحسب، وإنما تتحقق الطاعة بفطام السلطان نفسه عن ذلك. والانشغال بإقامة موازين الحق والعدل في حياته، كي تقام بين الناس. (وبدأت بنفسي وأهل بيتي)(١٧). فاكتفى من دنياه ما يبلغه منازل الآخرة سالماً، فأشقى نفسه لتسعد رعيته، وجاع ليشبعوا، وعري هو وأهله ليرفلوا، أضر بدنياه وعمر دنيا الناس وآخرته. فكانت البداية سياسة التجرد الذاتي من زهرة الدنيا، مع الوجل من التقصير، والخوف من عاقبته.

(قال سالم الأفطس: كان عمر بن عبد العزيز من ألبس الناس، وأعطر الناس، فلما سلم عليه بإمارة المؤمنين، وعلم استقرار أمره، أدخل رأسه بين ركبتيه، وبكى بكاء شديداً... ثم دخل منزله، فألقى تلك الثياب عنه، وغسل ذلك الطيب، ودعا الحجام فأخذ من شعره، ثم دعا بدواة وقرطاس، وكتب إلى الحسن البصري، ومطرف بن عبد الله بن الشخير: سلام عليكما، فإني أحمد الله إليكما الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله، أما بعد. فإني أوصيكما بتقوى الله، فإن من يقولها كثير، ومن يعمل بها قليل، فإذا أتاكما كتابي، فعظاني ولا تزكياني، والسلام) (١٨). لقد استعان بتحقيق ما يرنو إليه بالله سبحانه ثم بأعوان صدق يظاهرونه ويذكرونه. فقرب الفقهاء وأهل الصلاح والأمانة، واستشارهم، وجنّد الطاقات الخيرة معه، واستنصح أهل الرأي منهم. فاسمعه يستنصح ميمون بن مهران، فيقول له: (إنك لمن خير أهلك إن وقيت ثلاثة، قال: ما هن ؟ قال: إن وقيت السلطان وقدرته، والشباب وغرته، والمال وفتنته. فقال: أنت أولى بمكاني مني، ارتفع إلي. فأجلسه على سريره) (١٩)!؟ فتنزه عن كبرياء الملوك وجبروتهم، وشرط لطاعته طاعة الله عز وجل، فأعلن للناس على رؤوس الأشهاد: (من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم) (٢٠). لقد أعاد على الناس كلمات جده الفاروق رضي الله عنه، بل أراد أن يقتفي أثره في الخلافة، فكتب إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، يطلب موافاته بمنهج عمر في الحكم: (إن الله تبارك اسمه، وتعالى جده، ابتلاني بما ابتلاني به من أمر عباده وبلاده، أسأله أن يحسن عوني وعاقبتي وعاقبة من ولاني أمره، وقد رأيت أن أسير بالناس بسيرة عمـر بن الخطاب رضي الله عنه إن قضى الله ذلك، واستطعت إليه سبيلاً، فابعث إلي بكتب عمر وقضائه في أهل القبلة، وأهل العهد، فإني متبع أثره، وسائر بسيرته إن شاء الله، وأسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى) (٢١). لقد فتح عمر بن عبد العزيز للناس باب الرجاء، بعد أن كاد يغلق على أيدي سالفيه. إذ أزرى على من كان قبله، ودابر سيرتهم فيما أخذوا من بنيات الطريق. غير عابئ بسخط

الساخطين، ومقت الطامعين، واستعان على ذلك بولاة صالحين، اطمأن إلى أمانتهم وكفاءتهم وتقواهم. فاستعمل أصلح من قدر عليه، بعد أن صرف عمال السوء، وأخلى عنقه من تبعة من استعملهم، إذ قلدها أعناق رعيته. فكتب إلى أهل الموسم: (أما بعد. فإني أُشهِد الله وأبرأ إليه في الشهر الحرام والبلد الحرام، ويوم الحج الأكبر، أني بريء من ظلم من ظلمكم، وعدوان من اعتدى عليكم، أن أكون أمرت بذلك، أو رضيته أو تعمدته... ألا وإنه لا إذن على مظلوم دوني، وأنا معول كل مظلوم، ألا وأي عامل من عمالي رغب عن الحق، ولم يعمل بالكتاب والسنة، فلا طاعة له عليكم، وقد صيرت أمره إليكم حتى يراجع الحق وهو ذميم. ألا وإنه لا دولة بين أغنيائكم، ولا أثرة على فقرائكم بشيء من فيئكم) (٢٢). والذي يتبطن الناصحين لا يبرم لغير الحق أمراً، فقد اتخذ منهم رقابة عليه. تذكره وتعينه، ألم يقل لرئيس حرسه ؟: (يا عمرو بن المهاجر ! إذا رأيتني ملتُ عن الحق، فضع يدك في تلابيبي، ثم هزني، ثم قل لي ماذا تصنع ؟)(٢٣). فكان لا يرضى السير بالجور، ولا المخالفة للحق، وكل أمر ليس من الحق رد، وما كان كتب إلى ولاته وعماله إلا: (بإحياء سنة، أو إطفاء بدعة، أو قسم مال، أو رد مظلمة، أو أمر بخير) (٢٤).

كما كان عمر بن عبد العزيز يرى في العصبية القبلية التي بعثتها سياسة بني أمية من مرقدها ! للاحتماء خلف جدرانها، وشد أزرهم بها، شرا مستطيراً. وتفريقاً لصف الأمة، التي تشد أزرها بالإخاء والترابط والمحبة، مع إزهاق للفوارق الجنسية والعرقية والقبلية والجاهلية. حيث الأهواء والضلالة. التي أضحت تشكل تهديداً خطيراً للدولة والأمة، وأورثت المجتمع المسلم انقساماً عظيماً، وتمزقاً مقلقاً. فعمل عمر على إطفاء جذوة العصبية القبلية، كي تبقى لحمة العقيدة متينة بين أفراد الأمة. وكان له موقف صلب، ووعيد شديد لكل من يحاول اللعب على حبال التناقضات القبلية، والنخوة الجاهلية. حفاظاً على وحدة الأمة، وإشفاقاً من تسلل نزعات جاهلية إلى ساحتها، فكتب يقول: (وقد ذكر لي مع ذلك رجالاً يتداعون إلى الحلف، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف... وأنا أحذر كل من سمع كتابي هذا، ومن بلغه أن يتخذ غير الإسلام حصناً، أو دون الله ودون رسوله ودون المؤمنين وليجة، تحذيراً بعد تحذير... وإني لم آلكم بالذي كتبت به إليكم نصحاً، مع أني لو أعلم أحداً من الناس يحرك شيئاً ليؤخذ له به، أو ليدفع عنه. أحرص – والله المستعان - على مذلته كائناً من كان، رجلاً ً أو عشيرة أو قبيلة. أو أكثر من ذلك. فادع إلى نصيحتي وما تقدمت إليكم به، فإنه هو الرشد ليس له خفاء، ثم ليكون أهل البر وأهل الإيمان عوناً بألسنتهم) (٢٥). لقد كان تحذير عمر من العصبية دفعاً للأمة عن ساحة

البغضاء والانقسام والاقتتال. ولم يكن كثير من الشعراء والخطباء بمعزل عن تلك الصراعات القبلية، والمنافسات الجاهلية، بل ساهموا في إضرام جذوتها، وشاركوا من قريب أو بعيد بتلك الدماء والمظالم التي شهدتها ساحات الصراع القبلي، مع عريض ادعاءاتهم، وبعدهم عن الصدق والخير.. ولا يخفى دور العامل البياني – في الشعر – في إثارة الخصومات القبلية، وتهييج العصبيات، من خلال التحيز إلى القوم، ولو كانوا على غير الحق، والدعوة إلى الثأر، وتحريضهم على قتال القبائل المناوئة لهم، أو من خلال المناقضات والمفاخرات التي تبعث الماضي الجاهلي، وما فيه من أيام ووقائع قبلية جائرة، أو من خلال هتك الأستار والحرمات. وكل ذلك ينكأ الجراح، ويثير حزازات الصدور التي كاد الزمن أن يخفيها وراءه بستارة من النسيان.

لقد شهد عمر قوافل الشعراء وهي تحط رحالها في قصور بني أمية، يسوقون بضاعتهم في أروقتهم، والثمن عطايا وهدايا وجوائز، يغدقونها عليهم، ويستقوون بسلاحهم، ويدفعون معرة ألسنتهم، وكانت بضاعتهم مزيجاً من المديح والهجـاء والفخر، وكل ذلك متخم بالمبالغة والملق والتزيد والزور. فكانت في أغلبها تمثل ثمرة من ثمار الجاهلية، أو سبيلاً من سبلها. إذ لم يكن كثير منهم أوفياء للتصورات الإيمانية وقيم العقيدة. ولذا تنكرت لهم مجالس عمر بن عبد العزيز من اليوم الأول لخلافته، لأنه لا يريد إلا من يعين على الخير، أو يدل عليه. (فعن مالك أن عمر بن عبد العزيز حين ولي جاءه الناس فلم يقبل إلا رجلاً فيه خير وتقى، فكُلم في صديق له، فقال: تركناه كما تركنا الخز والموشى... ثم قرب إليه العلماء الذين ارتضاهم) ⁽٢٦⁾. ولعل في كلمته التي ألقاها على مسامع المسلمين، تحديداً لمن سيحظى بقربه ومجلسه، إذ قال: (إنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا خشية له، وإن أيمن أحدكم وأشأمه لسانه، فمن حفظ لسانه أراح نفسه، وسلم المسلمون منه، وإن قوماً لزموا سلطانهم لغرماء بحق الله عليهم، فأكلوا بخلافهم، وعاشوا بألسنتهم، وخلفوا الأمة بالمكر والخديعة والخيانة، وكل ذلك في النار. ألا فلا يصحبنا من أولئك أحد، ولا سيمـا خالد بن عبد الله (القسري)، وعبد الله بن الأهتم المنقري، فإنهما رجلا بيان، وإن بعض البيان يشبه السحر، فمن صحبنا فلخمس خصال: فأبلغنا حاجة من لا يستطيع إبلاغها، ودلنا على ما لا نهتدي إليه من العدل، وأعاننا على الخير، وسكت عما لا يعنيه، وأدى الأمـانة التي حملها منا ومن عامة الناس، فحيهلا به، ومن كان على غير ذلك، ففي حل من صحبتنا، ومن الدخول علينا) ⁽٢٧⁾. فانقشع عنه المغتابون وتجار الكلام وصناعه من الشعراء والخطباء، وثبت عنده الفقهاء والمحدثون والقراء والصالحون.. فكان قوله ذلك إعلاناً عن طرد المتملقين من مجلسه وبلاط خلافته، وكيف يقبلهم وقد شهدهم حول أسلافه

يقلبون الحق باطلاً، والباطل حقاً. ويأكلون دنيا الناس بدينهم. فأسند لمولاه مزاحم مهمة الرقابة عليه، فقال له: (إن الولاة جعلوا العيون على العوام، وأنا أجعلك عيناً على نفسي، فإن سمعت كلمة تربأ بي عنها، أو فعلاً لا تحبه، فعظني عنده، ونبهني عليه) (٢٨). كان عمر يحتاط لنفسه خشية أن تجد رقى الشيطان واستفزازاته سبيلاً إليه. فتغريه بالباطل وهو يتقلب بعز السلطان. وتميله عن الحق بلحن القول. وهو الأديب الأريب، يتذوق الرائع من القول، والمؤثر من الكلام. العالم لما للبيان من سلطان عجيب على النفس، وأثر عميق فيها، ولو كان من أبناء الآخرة الذين جعلوا كلمات الثناء والتزكية دبر أذنه. ولم يعبأ إلا بكلمات تذكره بالله واليوم الآخر، وتحثه على طاعة وبر، وتعظه ولا تزكيه. والشعراء المتكسبون المتملقون، الذين يقصمون ظهور ممدوحيهم بكاذب المديح، ويحركون العصبيات الغافية، والفتن النائمة، ويغرون الطغاة بالتسلط من تلك الأحابيل. وكفى بهم وبشعرهم من فتنة. ومعرفة عمر خطورة اللسان والبيان، دفعته إلى إدارة ظهره لأرباب الفصاحة من مزوري الشعر والخطب.. إذ هو السحر في نظره. يتغلغل صداه في النفس البشرية، فيحرك لواعجها وأهواءها.. ولذا كان عظيم الخطر والعاقبة. ولعل فيما ذكره الجاحظ عمن لم يجد تسمية لهم سوى الربانيين – وعمر بن عبد العزيز واحد منهم – بياناً شافياً عن شدة تأثير البيان الرفيع، والكـلام البليغ في السامعين، يقـول: (وقال بعض الربانيين من الأدباء، وأهل المعرفة من البلغاء، ممن يكره التشادق والتعمق، ويبغض الإغراق في القول، والتكلف والاجتلاب، ويعرف أدواء الكلام ودواءه، وما يعتري المتكلم من الفتنة بحسن ما يقول، وما يعرض للسامع من الافتتان بما يسمع، والذي يورث الاقتـدار من التحكم والتسلط... فقال في بعض مواعظه: (أنذركم حسن الألفاظ، وحلاوة مخارج الكلام.... والقلب ضعيف وسلطان الهوى قوي، ومدخل خُدع الشيطان خفي، وقال عمر ابن عبد العزيز لرجل أحسن في طلب حاجته، وتأتى لها بكلام وجيز، ومنطق حسن: (هذا والله السحر الحلال) (٢٩).

ولم يغب عن ذهن عمر مهمة الشعر في الحياة، إذ هو وسيلة من وسائل صناعة الحياة، وجندي في موكب المصلحين.. بل إنه لون من ألوان الكسب البشري، والنشاط الإنساني، الذي يمثل لونًا من ألوان العبادة إذا سار في مهيع الحق، وغرد في سرب الهدى. وإن غابت هذه الحقائق وراء الآمال العراض، والأطماع الواسعة في صدور الشعراء. فقال: (ومن علم أن الكلام عمل قل كلامه إلا فيما ينفع) (٣٠). (ومن لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه) (٣١). والتقى يلجم اللسان عن الخوض فيما لا يعني.. ولذا تجهم عمر في وجوه الشعراء الملقين. وقطع عنهم ما كان يغريهم ويذكي قرائحهم الشعرية. فلم يعد للشعراء نصيب في بيت مال المسلمين.. إذ جفت مخصصات المداحين

فيه فقد (منع عمر بن عبد العزيز العطايا التي كان الشعراء يتقاضونها مقابل مدحهم الخلفاء) (٣٢). لقد انتفت دواعي الرغبة في أشعار هؤلاء. فلا هو من طلاب المديح، ولا هو ممن يخاف معرة الهجاء. ولا يستظهر بباطل القول وزوره. بعد أن ملأ النفاق آفاق كثير من الفن الشعري، وعمت بلوى التكسب به عند أصحابه.

الشعراء في رواق عمر بن عبد العزيز:

لا يظفر الدارس بأشعار تتعلق بعمر بن عبد العزيز قبل إمرته على المدينة المنورة، إذ وليها في ميعة صباه. ويبدو أن انقطاعه إلى العلم شغله عن الشعر وأهله... ولذا لا بد من أن نساير ركبه وهو يخب إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم. لنتعرف الأشعار التي كانت تتناوحه. ولا أريد أن أخرج عن المنهج التي ارتضيته لنفسي، والتزمت به في دراستي. فالأدلة الصادقة، والأخبار الموثوقة عدتي للوصول إلى الحق. وما كنت لأتعلق بأخبار واهنة، أرادت أن تجعل من الخليفة الراشد شاعراً من الشعراء. إذ نُسبت إليه أبيات كثيرة، بل ومقطوعات شعرية. والكثير منها لشعراء معروفين، ذكرتها كتب الأدب والتاريخ.. والقليل منها أقرب إلى نظم الكلم. ولم نقع على ما يرد نسبتها إلى عمر بن عبد العزيز. كتلك الأبيات التي أوردها القالي في أماليه:

انْه الفؤاد عن الصبا وعن انقيادٍ للهوى
حتى متى لا ترعوي حتى متى وإلى متى (٣٣)

ولا شك أن معاني الأبيات ومثلها من حديث الزهد والرقائق والألم من التفريط مما يجد سبيله إلى قلب عمر ولسانه. فهذا الإمام الذهبي ينسب إليه هذين البيتين من الشعر:

ولا خير في عيشٍ امرئ لم يكن له من الله في دار القرار نصيب
فإن تُعجِبِ الدنيا أناساً فإنها متاع قليل والزوال قريب (٣٤)

وقال الفضل بن عباس: (كان عمر بن عبد العزيز لا يجف فوه من هذا البيت). وذكر البيت الأول(٣٥) منهما، وقال محمد بن بشير:. وقال عمر بن عبد العزيز يلوم نفسه:

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم وكيف يطيق النوم حيران هائم
فلو كنتَ يقظان الغداة لحرقتْ محاجر عينيك الدموع السواجم
وتكدح فيما سوف تكره غبه كذاك في الدنيا تعيش البهائم(٣٦)

ويكفي عمر ملكته المرهفة، وذوقه الأدبي. وفصاحته وثقافته لتذوق الأشعار ومعرفة المحاق والصادق منها. فقد كان يتغنى ببعض الأبيات، ويرددها منشداً. حدثنا الزبير بن بكار، فقال: حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، قال: (كان عمر بن عبد العزيز ينشد قول قيس بن الخطيم:

بين شُكول الناس خلْقتُها   قَصد، فلا جبلةٌ ولا قَضفُ
تنام عن كُبر شأنها فإذا   قامت رويداً تكاد تَنقصفُ
تغترق الطرفَ وهي لاهيةٌ   كأنما شف وجهها نُزفُ

ثم يقول: قائل هذا الشعر أنسب الناس) (٣٧).

وذُكر ابن أذينة عند عمر بن عبد العزيز، فقال: نعم الرجل أبو عامر، على أنه الذي يقول:

وقد قالت لأتراب   لها زهرٍ تلاقينا (٣٨)

فما كان عمر يذود سمعه عن الشعر العفيف، الذي تجيش به خواطر الشعراء، وترشحه قلوبهم، إن لم يكن بها مرض، بل يقع منه الموقع الحسن، ويتغلغل في صدره. وما ضاق مجلس إمارته على المدينة بالشعراء. فكان يسمع منهم ويصلهم. ما لم تُثْلم المروءة، ولا يجرح العفاف والحرمات. ويغري بالفاحشة. (قال لنصيب وهو يومئذ أمير المدينة، أنشدني قولك: (قفا أخوي)، فإن شيطانك قد كان لك فيها ناصحاً، حين لقنك إياها. فأنشده:

قفا أخوي، إن الدار ليست   كما كانت بعهدكما تكون
ليالي تعلمان وآل ليلى   قطين الدار فاحتمل القَطين
فعوجا فانظرا أتُبين عما   سألناها به أم لا تبين
فظلا واقفين، وظل دمعي   على خدي تجود به الجفون(٣٩)

فالشيطان يوحي للغواة من الشعراء زخرف القول وفاجره. ولكن شيطان نصيب في هذه الأبيات كان ناصحاً له. فلم يوح إليه بقول الفجور والتهتك وكشف الأستار، وإن كانت أبياته متهدرة من هوى مبرح، وصبابة ملتاعة. حيث التوجع والدموع. والتعبير عن بريء العاطفة، وسامي المشاعر، لا يعكر للعفة والخلق خاطراً.

ولكن إذا تجهم الشعر للحق والعفة، ولم يهز القلوب للفضيلة والخير، فلا مكان له، ولا لأصحابه في مجالس عمر، وأروقة سمره. حتى ولا في مدينة يكون عمر

أميرها.. (لما بلغ عمر بن عبد العزيز فجور الفرزدق وتعهره واستهتاره بالفواحش، واستخفافه بالحرم، نفاه عن المدينة. أراد قول الفرزدق:

هما دلتاني من ثَمانين قامةً … كما انْقَضّ بازٍ أقْتَم الريشِ كاسره
فلما استوتْ رجلاي في الأرضِ قالتا … أحيٌ يرجى أم قتيلٌ نُحاذره
فقلتُ: ارفعا الأسباب لا يشعروا بنا … وأقبلتُ في أعجازِ ليلٍ أُبادره) (٤٠)

ويذكر الأصفهاني خبراً آخر، يقول: (قدم الفرزدق المدينة في سنة مجدبة حصباء، فمشى أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز، فقالوا له: أيها الأمير، إن الفرزدق قدم مدينتنا هذه، في هذه السنة المجدبة، التي أهلكت عامة الأموال التي لأهل المدينة، وليس عند أحد منهم ما يعطيه شاعراً. فلو أن الأمير بعث إليه فأرضاه، وتقدم إليه، ألا يعرض لأحد بمدح ولا هجاء. فبعث إليه عمر: إنك يا فرزدق قدمت مدينتنا هذه، في هذه السنة الجدبة، وليس عند أحد ما يعطيه شاعراً. وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم، فخذها ولا تعرض لأحد بمدح ولا هجاء. فأخذها الفرزدق. ومر بعبد الله ابن عمرو بن عثمان، وهو جالس في سقيفة داره، وعليه مطرف خز أحمر، وجبة خز أحمر، فوقف عليه، وقال:

أعبد الله أنت أحق ماشٍ … وساعٍ بالجماهير الكبارِ
نما الفاروقُ أُمك وابن أروى … أبوك فأنت منصدع النهارِ
هما قَمرا السماء، وأنتَ نجم … به في الليل يدلِج كل سارِ

فخلع عليه الجبة والعمامة والمطْرف، وأمر له بعشرة آلاف درهم.... فأُخْبِر عمر بن عبد العزيز بذلك، فبعث إليه: ألم أتقدم إليك يا فرزدق، ألا تعرض لأحد بمدح ولا هجاء ؟ اخرج فقد أجلتك ثلاثاً. فإن وجدتك بعد ثلاثة نكلت بك. فخرج وهو يقول:

فأجلني وواعدني ثلاثاً … كما وعدت لِمهلكها ثَمود

قال: وقال جرير فيه:

نفاك الأغر ابن عبد العزيز … ومثلُك ينْفَى من المسجد
وشبهتَ نفسك أشقى ثَمود … فقالوا: ضللتَ ولم تهتد) (٤١)

وأورد صاحب معاهد التنصيص سبباً آخر لنفي الفرزدق عن المدينة. فذكر أن (الفرزدق راود امرأة عن نفسها – بعد أن كان أضافته وأحسنت إليه – فامتنعت عليه، وبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ والي المدينة، فأخرجه منها، وأركب على ناقته

لينفى)(٤٢). وأما البلاذري فيقول: (أمر عمر بن عبد العزيز أن يخْرج الفرزدق من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وذلك أنه كان ينشد فيه الهجاء ويتبذى)(٤٣) وما أجمع كلمة ابن قتيبة: (وكان عمر حين بلغه فجور الفرزدق نفاه عن المدينة)(٤٤). وأياً كان السبب، فإنما ينفى الفاسق الخارب المريب. وهو ما عرف به الفرزدق.

وفي ديوان الفرزدق قصيدة، قيل: إنه يمدح عمر بن عبد العزيز وهو بمكة، ومطلعها:

لأسماء إذْ أهلي لأهلـك جيـرةٌ   وإذ كل موعودٍ لها أنـتَ آملُـه.

وحبست طويلاً عليها، ولم أكد أرى بيتاً منها يخص عمر بن عبد العزيز، فضلاً عن القيم والمآثر التقليدية الموروثة التي شغلت مدحته، بل أكاد أجزم أنها في مديح والده عبد العزيز بن مروان، ولو ورد فيها ذاك البيت الفرد القلق:

أغر نمى الـفاروقُ كـفيه للـعلى   وآلُ أبي العاصي طوالٌ محاملُـه

ويقول:

إليك ابن ليلى يا ابن ليلى تجـوزتْ   فَـلاةً وداويـاً دفَـانـاً مناهلُـ ـه
تريد من الحجِ ابن لـيلى كلاهـما   لـصاحبِه خير تُرجى فَواضلُـ ـه
وكان بمصر اثنانِ ما خافَ أهـلُها   عدواً، ولا جدباً تُخـافُ هزايـ ـله
لدن جاور النـيلَ ابـن ليلى فإنـه   يفيض على أيدي المساكينِ نائِلُه (٤٥)

وقصيدة تضج بالحديث عن مآثر عبد العزيز بن مروان – سوى بيت حزين – لا ترهن في زعم مديح لعمـر بن عبد العزيز، فضلاً عما عرف به الشاعر من فجور ومجون واستهتار وفحش وقذف وإقذاع، فلا مكان له ولا لشعره على بساط عمر بن عبد العزيز.

ويزعم المسعودي: (أن الفرزدق رثى عمر بن عبد العزيز بقوله:

أقولُ لما نعى الناعون لي عمـ ـرا   لقد نَعيتُم قـوام الحـ ـق والـدين
قد غيب الرامسون اليوم إذ رمـسوا   بدير سمعان قسطاس الموازين) (٤٦)

وساق هذه الأبيات – مع اختلاف يسير – المبرد في كامله. فقال: (وقال رجل يرثيه:

قد غيب الدافنون اللحـد إذ دفنـوا   بدير سمعان قسطاس الـ ـموازين
من لم يكن همه عينـاً يفجـ ـرها   ولا النخيلَ، ولا ركـض البـراذين

أقولُ لما أتاني ثَم مهلكُه   لا يبعدن قوام الملك والدين(٤٧)

ونسبها البلاذري لكثير عزة، وابن عساكر لابن عائشة. كما نسب الأخير بيتين للفرزدق في رثاء عمر بن عبد العزيز:

كم من شريعة حقٍ قد شرعتَ لهم   كانتْ أُميتتْ، وأُخرى منك تنتظر
يا لهفَ نفسي ولهفَ اللاهفين معي   على العدول التي تغتالُها الحفر(٤٨)

والراجح أن هذين البيتين مع أبيات أخرى هي لمحارب بن دثار، يرثي عمر بن عبد العزيز، كما وردت في كتب التاريخ والأدب، وإن كان البلاذري قد نسبها للجمحي مع اختلاف يسير.

كم من شريعة حقٍ قد أقمتَ لهم   كانت أُميتتْ، وأخرى منك تنتظر
ثلاثةٌ ما رأتْ عين لهم شَبهاً   يضم أعظمهم في المسجد المدر
فأنتَ تتبعهم لم تألُ مجتهداً   سقياً لها سنناً بالحق تقتفر
لو كنتُ أملك والأقدار غالبةٌ   تأتي صباحاً وتبياناً وتَبتكر
صرفتُ عن عمر الخيرات مصرعه   بدير سمعان، لكن يغلب القَدر (٤٩)

وظل الفرزدق يذوده شعره عن سماط عمر بن عبد العزيز، لأنه إن لم يكن في الفحش شعره، فإنه سيكون هجاء وتمزيقاً للأعراض. وفخراً جاهلياً مقيتاً، وكل ذاك بضاعة كاسدة في سوق عمر بن عبد العزيز. فهذا جرير المشهور بعفته ودينه يقرنه عمر بن عبد العزيز بعمر بن لجأ بسبب تهاجيهما. (فعن إبراهيم بن عبد الله، مولى بني زهرة، قال: حضرت عمر بن لجأ وجرير بن الخطفي موقوفين للناس بسوق المدينة، لما تهاجيا وتقاذفا، وقد أمر بهما عمر بن عبد العزيز، فقرنا وأقيما).(٥٠) وذلك لما في المهاجاة من قذف وإقذاع، ونهش للأعراض، وهتك للحرمات، وسباب وشتائم. وكلها ترمى عن قوس البذاءة والبهتان. إذ أسف كثير من شعراء العصر الأموي، المشهورين بالغزل والهجاء والفخر في أشعارهم. فلم يبالوا بالكرامات ولو تهشمت، وبالأعراض لو فضحت.. ولعمر بن عبد العزيز أسوة في جده الفاروق. فقد حبس الحطيئة في هجائه. ولما أطلقه من حبسه، قال له: (إياك والهجاء المقذع. قال: وما المقذع يا أمير المؤمنين ؟ قال: أن تقول: هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف. وتبني شعراً على مدح القوم، وذم لمن يعاديهم) (٥١). وإقذاع الفرزدق في نقائضه لا يخفى.

أما الأحوص الشاعر، فقد كان عمر بن عبد العزيز، في بداية إمرته المدينة يكرمه ويصله ؛ لقرابة بينهما، إذ كان عمر يدعوه خاله. لأن أم عمر أم عاصم بنت

عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأم عاصم بن عمر هي جميلة بنت ثابت، أخت عاصم بن ثابت جد الأحوص.. ولم يسلم لنا من قصيدته التي مدح بها عمر بن عبد العزيز أيام ولايته على المدينة المنورة سوى ثلاثة أبيات، هي:

فقلتُ: إن أبـا حفـصٍ تـداركني   منْه نَوالٌ كفاني الـدين والـسفرا
وشرد الهم عني بعدما حـضرتْ   منه حواضر لا أنوالُها صـــدرا
فكنتُ فيكم كممـــطُورٍ ببـــلادته   فَسر أن جمع الأوطان والمطرا(٥٢)

وقصيدته اللامية الشهيرة. وإن كان يلح فيها – كدأبه – على النوال والرفد، فلا أرى في النسيب الذي افتتح به الشاعر قصيدته. سوى طاقة من الرموز التي تلمح إلى جفوة قائمة، أو بداية لقطيعة دائمة. وما أدري كيف غفل الأستاذ الفاضل محقق الديوان عن هذا – وقد ساق في حاشية القصيدة ما قاله الأستاذ الميمني: (وبيت عاتكة يضرب مثلاً للموضع الذي تعرض عنه بوجهك، وتميل إليه بقلبك. وما أظنه أضحى مثلاً على ذلك على يد الأحوص لأنه أغار على قصيدة سليمان بن أبي دباكل وبنى قصيدته. وإن كان قد أربى عليه في الإحسان. ولم يصبح بيت خنساء مثلاً. يقول سليمان:

يا بيتَ خنـسـاء الـذي أتجنـب   ذهب الشباب وحبهـا لا يـذهب
إني لأمنحك الـصـدود وإننـي   قسماً إليك مع الصدود لأجنب)(٥٣)

وعاتكة هذه كما يقول ابن قتيبة: (كانت بنتاً لعبد الله بن معاوية بن أبي سفيان، وتزوجها يزيد بن عبد الملك. وفيها قيل: يا بيت عاتكة...) (٥٤) فهل نستطيع أن نقول: إن عاتكة أوشكت أن تكون رمزاً لبني أمية ؟ ليس من الشطط الذهاب إلى ذلك، وقد استعمله عبيد الله بن قيس الرقيات هكذا. يقول الأحوص:

يا بيتَ عاتكـةَ الذي أتعـــزلُ   حذر العدا وبه الفـؤاد مـــوكلُ
أصبحتُ أمنحك الصدود وإننـي   قسماً إليك مع الـصدود لأميـلُ
هلْ عيشُنَا بك في زمانك راجـع   فلقد تفاعس بعـدك المتَعلـلُ(٥٥)

وبعد هذا الغزل الرمزي يطرح حديث العطاء – وإن كنت أكثر دقةً قلت حديث الاستجداء – على سربال وشاه بالمآثر والفضائل التي تطلق يد الممدوح بالهبات، إن هزته. كالكرم والإقدام والمجد والسطوة وطيب الأرومة وتالد الشرف وطارفه. يقول:

وسفيهةٍ هبـتْ علـي بـسـحرةٍ   جهلاً تلوم على الثـواء وتَعـذلُ
فأجبتُها أن قلتُ لـست مطاعـةً   فذري تنـصحك الـذي لا يقْبـلُ

إني كفاني أن أُعالج رحلةً   عمر ونبوةَ من يضن ويبخَلُ
بنوال ذي فَجَرٍ تكون سجالُه   عمماً إذا نزلَ الزمان الممحلُ

ولم أجد فيما ذكره الأصفهاني سبباً مقنعاً لقول الأحوص الأبيات اللاحقة، إذ لا ترتبط بتلك الأبيات ولا تكشف عن سبب حوكها: (حج أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان، فقدم المدينة، فدخل عليه الأحوص واستصحبه. فلما خرج الأحوص قال له بعض من عنده: ماذا تريد بنفسك ؟ تقدم بالأحوص الشام وبها من ينافسك من بني أبيك. وهو من الأفن والسفه على ما قد علمت، فيعيبونك به. فلما رجع أبو بكر من الحج دخل عليه الأحوص منتجزاً لما وعده من الصحابة. فدعا له بمئة دينار وأثواب... فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز – وعمر أولى بالبعد عن السفهاء والمأفونين، وهو أتقى لله من أخيه – فأرسل إلى الأحوص وهو يومئذ أمير المدينة، فلما دخل عليه أعطاه مئة دينار، وكساه ثياباً، فأخذ ذلك. ثم قال له: هب لي عرض أبي بكر، قال: هولك، ثم خرج الأحوص.... فقال قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز) (٥٦). وفي ذلك يقول:

ولقد بدأت أريد ود معاشرٍ   وعدوا مواعد أخلفت إذ حصلوا
حتى إذا رجع اليقين مطامعي   يأساً، وأخلفني الذين أُؤملُ
زايلتُ ما صنعوا إليك برحلةٍ   عجلى، وعندك عنهم متحول
ووعدتَني في حاجتي فصدقتني   ووفيتَ إذ كذبوا الحديثَ وبدلوا
وشكوتُ غُرماً فادحاً فحملتَه   عني، وأنت لمثله متَحمل

فمن هؤلاء الذين وعدوا، وما الذي وعدوا الشاعر به ؟ وأين كانوا ليحدث رحلة عجلى وإلى من ؟ وما الوعد الذي قطعه له عمر بن عبد العزيز فوفى به ؟ وما الغرم الذي يحمله ؟! كل تلك الأسئلة وغيرها تدفعني للبوح بارتيابي من الخبر.. وها هو يعود للاستجداء ثانية.. ويمتري عطاء سبقه عطاء:

فأعد فدى لك ما أحوز بنعمةٍ   أخرى يرب بها نداك الأولُ

ووعد مخاف كهذا لا يستحق كل هذا المديح والاعتذار عنه، ولا يحتمل وفاؤه كل تلك الوعود التي قطعها الممدوح، بأن يقلد عنقه عقود مدح ثمينة، وسيجددها كلما جدد له في حياته. وستبقى مخلدة في ذاكرة الأجيال وعلى ألسنتهم.

فلأشكُرن لك الذي أوليتني   شكراً تَحل به المطي وترحلُ
مدحاً تكون لكم غرائب شعرها   مبذولةً، ولغيركم لا تُبذَل

فإذا تنـخلْتُ القـريض فإنــه   لكُم يكون خـيار مـا أتنـخل
أُثني عليكم ما بقيتُ فإن أمــت   تخـلُد غرائبـها لكـم تُـتَمثلُ

وخلال ثنائه وإطرائه على الممدوح، يضج صوت المال في ثنايا تلك الأبيات، مع التذكير والإلحاح على القرابة التي تجمعهما، تذكيراً بصلة الرحم.. ومعاودة الإلحاف بالسؤال، يقول:

أغنتْ قرابتُه، وكـان لزومــه   أمراً أبان رشـــاده مـن يعقـلُ
إن امرءاً قد نالَ منـك قرابـــةً   يبغي منـافع غيـــرها لمـضلل

ويمثل البيتان اللذان ختم بهما الشاعر قصيدته، صوتاً نشازاً في القصيدة، لا يتناغمان مع إيقاعها ولا مع حديثها، فكأنهما ألحقا بها إلحاقاً:

وأراك تـفعلُ ما تقول وبعضـهم   مذقُ الحديث يقول مالا يفعـــلُ
وأرى المدينةَ حين صرت أميرها   أمن البريء بها ونام الأعـــزلُ

ويسعفني في صدق دعواي رواية البغدادي للبيت الأخير:

وأرى المدينةَ حين كنتَ أميرهـا   أمن البريء بها ونام الأعزل (٥٧)

و " كنتَ " في البيت وحدها تدفع حديث أبي الفرج، وتغير وجهة القصيدة. أضف إلى ذلك رواية البلاذري إذ ساق البيتين بقافيتين مختلفتين، يقول:

- وأرى المدينةَ إذ وليتَ أمورها   أمن البريء بها وخاف المـذنب
- وأرى المدينة حين كنتَ أميرها   أمن البريء بها ونام الأعزل(٥٨)

فخبر الأصفهاني لا يقوى على دفع تلك الحجج، كي نتخذه دليلاً على سبب نسج الأحوص لقصيدته. ولا ننسى أن الأحوص كان سيء السيرة، يشبب بنساء أهل المدينة، ويتغنى في شعره معبد وغيره. وفيه من الخبث والشر ما فيه... فضلاً عما لقيه الأحوص – بعد أن اشتهر مجونه – من نكال ومهانة على يد ابن حزم الذي كان قاضي المدينة أيام كان عمر والياً عليها، وواليا لسليمان بن عبد الملك عليها. إذ أقامه على البلس، جراء تعهره وفجوره، وتطاوله على الحرمات.

ويستَخافُ عمر بن عبد العزيز، وجاء الشعراء – كعادتهم مع سابقيه – يهرعون إليه. وفي صدورهم آمال عراض بغرائر مترعة بالجوائز والهبات – وهو ما اعتادوا عليه من أسلافه، الذين أعظموا رشوة الشعراء من بيت مال المسلمين، وتألفوهم

بالحظوة، أجر ما تمجيدهم -، والأيام قلّب، فقد كسدت بضاعة الشعراء المتكسبين، الذين يأكلون بألسنتهم، ويبيعون دينهم بدنيا غيرهم. إذ كان الشعر الصادق النبيل أيسر الوسائل عند عمر، إذ شهده مجنياً على ألسنة الشعراء من شجرة النفاق، وبيد الارتزاق، الذين لم يكن لعمر فيهم رأي ولا أرب. وإنما كان رأيه وبطانته وأهل أربه القراء والفقهاء، ومن وسم عنده بورع، وهؤلاء قليل في الشعراء. ولم يتنازل عمر عن قناعاته تلك رجاء مديح الشعراء، أو خوف ذمهم. ولم يعد – بعد أن أنيطت به مهمة الخلافة – لديه متسع إذ تفرغ لأمر تقواه، ولأمر الخلافة، فقال:

قد جاء شغلٌ شاغل   وعدلت عن طرق السلامة
ذهب الفراغُ فلا فرا   غَ لنا إلى يومِ القيامة (٥٩).

ولما أخذ عمر في رد المظالم، التي كانت بيد بني أمية، غاظ ذلك على أهل بيته، وعلى جميع قريش من حاشيتهم، فكتب إليهم عبد الرحمن بن أبي الحكم:

فقُلْ لهشامٍ والذين تجمعوا   بِدابقَ لا سلّمتم آخر الدهرِ
فأنتم أخذتم حتفَكُم بأكفكُم   كباحثةٍ عن مديةٍ وهي لا تدري
عشيةَ بايعتم إماماً مخالفاً   له شجن بين المدينة والحجرِ(٦٠)

إنه إمام مخالف لمن سبقه من الخلفاء.. فهو نجيبة بني مروان، حفيد الفاروق رضي الله عنه، والخليفة الراشد.. فقد قطع عن بني أمية ما كان يجري عليهم من أرزاق الخاصة. واسترد ما في أيديهم من مظالم. حتى أضحوا وأقصى رجل من المسلمين عنده سواء - وهذا مما لم يألفوه -. فكيف سيكون حال الشعراء عنده ؟!.

نهض الشعراء إلى عمر من العراق والحجاز وغيرهما، وطال انتظارهم على عتباته، ولا يؤذن لهم إلا بعد لأي، كما يذكر ابن خلكان (عن الهيثم بن عدي، عن عوانة بن الحكم. قال: لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وفد الشعراء إليه، وأقاموا ببابه أياماً لا يؤذن لهم، فبينما هم كذلك، وقد أزمعوا على الرحيل، إذ مر بهم رجاء بن حيوة، وكان خطيباً من أهل الشام، فلما رآه جرير داخلاً على عمر، أنشأ يقول:

يا أيها الرجلُ المرخي عمامتَه   هذا زمانُك فاستأذن لنا عمرا

قال: فدخل فلم يذكر من أمرهم شيئاً. قال ومر بهم بعده عون بن عبد الله بن عبيد الله بن عتبة بن مسعود (وعند آخرين عدي بن أرطاة) فقال جرير:

يا أيها الرجل المرخي مطيتَه   هذا زمانك إني قد مضى زمني
أبلغْ خليفتَنا إن كنتَ لاقيه   أني لدى البابِ كالمصفود في قَرنِ
لا تنس حاجتَنا لُقّيتَ مغفرةً   قد طالَ مكثي عن أهلي وعن وطني

قال: فدخل عون على عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، الشعراء ببابك، وسهامهم مسمومة، وأقوالهم نافذة. قال: ويحك يا عون، مالي وللشعراء ؟ قال: أعز الله أمير المؤمنين، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح فأعطى، وفي ذلك أسوة، قال: وكيف ذلك ؟ قال: امتدحه العباس بن مرداس السلمي، فأمر له بحلةٍ، فقطع لسانه. قال: وهل تروي من قوله شيئاً ؟ قال: نعم، وأنشده:

رأيتُك يا خير البرية كلها   نشرتَ كتاباً جاء بالحق معلما
شرعتَ لنا فيه الهدى بعد جورنا   عن الحق، لما أصبح الحقُ مظلما
ونورتَ بالبرهان أمراً مدنساً   وأطفأتَ بالقرآن ناراً تضرما
فَمن مبلغٌ عني النبي محمداً   وكل امرئٍ يجزى بما قد تكلما(٦١)

قال: ويحك يا عون، من بالباب منهم ؟ قال: عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي. قال: أوليس الذي يقول ؟:

ثم نبهتُها فهبت كعاباً   طفلةٌ ما تبين رجع الكلامِ

فلولا كان عدو الله إذ فجر كتم على نفسه، لا يدخل علي والله أبداً. فمن منهم سواه ؟ قال: همام بن غالب – يعني الفرزدق – قال: أوليس هو الذي يقول ؟:

هما دلتاني من ثمانين قامةً   كما انقض بازٍ أقتم الريش كاسره
فلما استوتْ رجلاي بالأرض قالتا   أحي يرجى أم قتيلٌ نُحاذره

لا يطأ هذا لي بساطاً أبداً. فمن سواه بالباب ؟ قال: الأخطل، قال: يا عون، أليس الذي يقول:

ولستُ بصائمٍ رمضان طوعاً   ولستُ بآكلٍ لحم الأضاحي
ولستُ بزاجرٍ عيساً بكوراً   إلى بطحاء مكةَ للنجاح
ولستُ بقائمٍ كالعيرِ أدعو   قُبيلَ الصبحِ حي على الفلاح
ولكني سأشربها شَمولاً   وأسجد عند منبلَجِ الصباح.

والله لا يدخل علي أبداً، وهو كافر. فهل رأيت سوى من ذكرت ؟ قال: نعم، رأيت الأحوص بن محمد الأنصاري، قال: أوليس الذي يقول ؟ وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جارية له، حتى هرب بها منه:

اللهُ بيني وبين سيدها   يفر مني بها وأتبع

اضرب عليه، فما هو بدون من ذكرت، فمن هاهنا سواه أيضاً ؟ قال: جميل بن معمر العذري. قال: هو الذي يقول:

ألا ليتنا نحيا جميعاً وإن أمتْ   يوافقْ لدى الموتى ضريحي ضريحها
فما أنا في طول الحياة براغبٍ   إذا قيل قد سوي عليها صفيحها

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا، فيعمل بعد ذلك صالحاً. والله لا يدخل علي أبداً. فهل سوى من ذكرت أحد ؟ قال: نعم، جرير بن عطية، قال: نعم، أما إنه الذي يقول:

طَرَقَتْكَ صائدةُ القلوبِ وليس ذا   وقتَ الزيارة فارجعي بسلام

فإن كان ولا بد فهو. قال: فأذن لجرير، قال: فدخل وهو يقول:

إن الذي بعثَ النبي محمداً   جعلَ الخلافةَ للإمام العادل
وسع الخلائقَ عدلُه ووفاؤه   حتى ارعوى وأقام ميلَ المائلَ
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً   والنفس مولعةٌ بحبِ العاجل

وأزيد عليها من الديوان:

ولقد نفعتَ بما منعتَ تحرجاً   مكس العشورِ على جسورِ الساحل
واللهُ أنزلَ في الكتابِ فريضةً   لابن السبيل وللفقيرِ العائل(٦٢)

فلما مثل بين يديه، قال: يا جرير، ويحك، اتق الله، ولا تقل إلا حقا). ويزيد ابن الجوزي، أنه قال: (يا أمير المؤمنين، أخبرت أنك تحب أن تتوعظ ولا تطرى)(٦٣). فأنشأ يقول:

أأذكر الجهد والبلوى التي نزلتْ   أم قد كفاني بما بلغْتَ من خبري
كم باليمامة من شَعثاء أرملةٍ   ومن يتيمٍ ضعيف الصوت والنظر
ممن يعدك تكفي فَقْدَ والده   كالفَرخِ في العش لم ينهض ولم يطر

يدعوك دعوةَ ملهوفٍ كأن به   خبلاً من الجِن أو مساً من النشَر

قال: ويحك يا جرير، ما أرى لك في ما هاهنا حقاً، قال: بلى يا أمير المؤمنين.. أنا ابن سبيل، ومنقطع بي، فأعطاه من صلب ماله أربعمائة درهم... ثم خرج. فقال الشعراء: ما وراءك ؟ قال: ما يسوؤكم، خرجت من عند أمير المؤمنين، وهو يعطي الفقراء، ويمنع الشعراء، وإني عنه راضٍ. وأنشأ يقول:

تركتُ لكم بالشامِ حبلَ جماعةٍ   أمين القوى مستحصد العقد باقيا
رأيتُ رقى الشيطان لا تستفزه   وقد كان شيطاني من الجِن راقيا (٦٤).

وفي رواية الأغاني، قال: فبكى عمر، ثم قال: يا بن الخطفي، أمن أبناء المهاجرين أنت، فنعرف لك حقهم ؟ أم من أبناء الأنصار، فيجب لك ما يجب لهم ؟ أم من فقراء المسلمين ؟ فآمر صاحب صدقات قومك، فيصلك بمثل ما يصل به قومك)(٦٥).

ولجرير هذا شفيع عند عمر، إذ شفعت له عفته وطهارة ذيله، (إذ كان مع إفراطه في الهجاء، يعف عن ذكر النساء، وكان لا يشبب إلا بمرأة يملكها) (٦٦) فلم يتجهمه، ووصله من فضل نفقته، ولم يغلق دونه الباب إن جاءه. وانطلق لسان جرير بأماديح في عمر بن عبد العزيز، يشيد بفضائله، ويعلي من عدله، حتى غدا علماً للعدل والرشاد. وإن كانت هناك أطياف من القيم البدوية التقليدية، التي نسجت على منوال الرواسم الموروثة من الشعر الجاهلي. يقول فيها:

أبتْ عيناك بالحسن الرقادا   وأنكرت الأصادق والبلادا
إليك رحلتُ يا عمر ابن ليلى   على ثقة أزورك واعتمادا
إلى الفاروق ينتسب ابن ليلى   ومروان الذي رفع العمادا
فما كعب بن مامةَ وابن سعدى   بأجود منك يا عمر الجوادا
يعود الحلم منك على قريش   وتفرج عنهم الكُرب الشدادا
وقد ليَنتَ وحشَهم برفق   ويعيى الناس وحشُك أن تصادا
وتدعو الله مجتهداً ليرضى   وتذكر في رعيتك المعادا
ونعم أخو الحروبِ إذا تردى   على الزغف المضاعفة النجادا(٦٧)

ويغلب على أبيات قصيدته هذه طابع النمطية الموروثة. إذ المديح تقليدي مبنى ومعنى، ولولا ذكره الفاروق، وما يثير هذا الإسم في النفس من ألوان العدل والإنصاف والتقى، وخشية لله ولليوم الآخر لكانت تصلح لكل جواد من أجواد البادية، وإن كان صوت المال والنوال مدوياً في القصيدة. وهذا ديدن جرير وأضرابه من شعراء المديح.

وله قصيدة أخرى تكاد تكون صورة عن القصيدة السابقة غير إطالة الحديث فيها عن عمر بن عبد العزيز بن مروان وشجاعته وإقدامه وكرمه، يقول فيه:

هل رام أم لم يرم ذو السدر فالثلم   ذاك الهوى منك لا دانٍ ولا أمم
إلى الأغر الذي تُرجى نوافله   إذا الوفود على أبوابه ازدحموا
جاؤوا ظماء فقد روى دلاءهم   فيض يمد من التيار مقتَسم
أنهض جناحي في ريش فقد رجعت   ريشَ الجناحين من آبائك النعم
تدعو قريشٌ وأنصار الرسول له   أن يمتَعوا بأبي حفصٍ وما ظَلَموا
أشبهتَ من عمر الفاروق سيرتَه   سن الفرائض وائتمتْ به الأمم(٦٨)

وهناك القصيدة التي أنشدها بين يدي عمر بن عبد العزيز، عندما وفد إليه. وذُكرت أبيات منها في ثنايا الخبر، ولا تكاد ترى جديداً فيها.. إذ السؤال والارتزاق. وبعض الخيوط الإسلامية في المديح، يقول:

لجت أمامة في لومي وما علمت   عرض السماوة روحاتي ولا بكَري
قد طالَ قولي إذا ما قمتُ مبتهلاً   يا رب أصلح قوام الدين والبشر
خليفةَ الله ثُم اللهُ يحفظُه   واللهُ يصحبك الرحمن في السفر
أنتَ المبارك والمهدي سيرته   تعصي الهوى، وتقوم الليلَ بالسور
نال الخلافةَ أو كانت له قدراً   كما أتى ربه موسى على قدر
كم قد دعوتُك من دعوى مجلّلةٍ   لما رأيتُ زمان الناس في دبر
لِتنعشَ اليوم ريشي ثم تُنْهضني   وتنزل اليسر مني منزلَ العسر(٦٩)

ولجرير أبيات فاترة في رثاء أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، يقول فيها:

تنعي النعاة أمير المؤمنين لنا   يا خير من حج بيتَ اللهِ واعتمرا
حملتَ أمراً عظيماً فاصطبرتَ له   وقمتَ فيه بأمر الله يا عمرا
فالشمس كاسفةٌ ليست بطالعةٍ   تبكي عليك نجوم الليل والقَمرا(٧٠)

وهناك خبر تناقلته كتب الأدب والتاريخ عن قدوم كثير عزة ونصيب بن رباح، والأحوص على عمر بن عبد العزيز، وآثرت صيغة الخبر التي نقلها ابن قتيبة في كتابه " الشعر والشعراء "، وإن لم تختلف كثيراً عن غيرها، وتستند الرواية إلى أن حماد الراوية يقول: (قال لي كثير: ألا أخبرك عما دعاني إلى ترك الشعر ؟ قلت تخبرني. قال: شخصت أنا والأحوص ونصيب إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى. وكل واحد منا

يدل عليه بسابقة له وإخاء. ونحن لا نشك أن يشركنا في خلافته، فلما رفعت لنا أعلام خناصرة، لقينا مسلمة بن عبد الملك جائياً من عنده، وهو يومئذ فتى العرب، فسلمنا عليه، فرد علينا السلام، ثم قال: أما بلغكم أن إمامكم لا يقبل الشعر ؟ قلنا: ما وضح إلينا الخبر حتى انتهينا إليك. ووجمنا وجمة عرف ذلك فينا، فقال: إن يك ذو دين بني مروان ولي، وخشيتم حرمانه، فإن ذا دنياها قد بقي، ولكم عندي ما تحبون. وما ألبث حتى أرجع إليكم، فأمنحكم ما أنتم أهله، فلما قدم كانت رحالنا عنده، فأكرم منزل، وأفضل منزول به. فأقمنا عنده أربعة أشهر يطلب لنا الإذن وغيره، فلم يؤذن لنا إلى أن قلت في جمعة من تلك الجمع: لو أني دنوت من عمر، فسمعت كلامه فتحفظته، كان ذلك رأياً. ففعلت. فكان مما حفظت من قوله يومئذ: (لكل سفر زاد لا محالة، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه، فترغبوا وترهبوا، ولا يطولن عليكم الأمد، فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم – في كلام كثير – ثم قال: أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي ؛ فتخسر صفقتي، وتظهر عيلتي، وتبدو مسكنتي، في يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق. ثم بكى حتى ظننا أنه قاضٍ نحبه. وارتج المسجد وما حوله بالبكاء والعويل، وانصرفت إلى صاحبي، فقلت لهما: خذا في شرج من الشعر غير ما كنا نقوله لعمر وآبائه، فإن الرجل أخروي، وليس بدنيوي. إلى أن استأذن لنا مسلمة في يوم جمعة، فأذن لنا بعدما أذن للعامة. فلما دخلت عليه سلمت، ثم قلت: يا أمير المؤمنين، طال الثواء، وقلت الفائدة، وتحدثت بجفائك إيانا وفود العرب، فقال: يا كثير، " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله "(٧١) أفي واحد من هؤلاء أنت ؟ فقلت: ابن سبيل منقطع – وأنا ضاحك – قال: أولست ضيف أبي سعيد ؟ قلت: بلى. قال: وما أرى من كان ضيفه منقطعاً به. ثم قلت: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في الإنشاد ؟ قال: نعم، ولا تقل إلا حقاً، فأنشدت:

تكلمتَ بالحق المبين وإنما   تبين آياتُ الهدى بالتّكلّمِ
وأظهرتَ نور الحق فاشتد نوره   على كل لبسٍ بارق الحق مظلمِ
ولِيتَ فلم تشتم علياً ولم تُخفْ   برياً ولم تقبلْ إشارةَ مجرمِ
وصدقتَ بالفعل المقالَ مع الذي   أتيتَ فأمسى راضياً كل مسلمِ
وقد لبِستْ لُبس الهلوك ثيابها   تراءى لك الدنيا بكف ومعصمِ
وتومض أحياناً بعينٍ مريضةٍ   وتبسم عن مثل الجمانِ المنظمِ
فأعرضتَ عنها مشمئزاً كأنّما   سقتك مدوفاً من سمامٍ وعلقمِ
وما زلتَ تواقاً إلى كل غايةٍ   بلغتَ بها أعلى البناء المقدمِ
تركتَ الذي يفنى، وإن كان مونقاً   وآثرتَ مايبقى برأي مصممِ

وأضررت بالفاني وشمرتَ للذي   أمامك في يوم من الشر مظلمِ
ولو يستطيع المسلمون تقَسموا   لك الشّطر من أعمارهم غير نُدمِ
فأربِح بها من صفقةٍ لمبايعٍ   وأعظم بها أعظم بها ثم أعظمِ

فأقبل علي، ثم قال: يا كثير إنك تساءل عما قلت).

وإننا نشهد من كثير محاولةً – وإن كانت غير موفقة – لاستعادة مكانته عند الخليفة الجديد – مداحاً غزلاً – وهو يحاول الخروج من نطاق المديح المألوف بين يدي عمر بن عبد العزيز ؛ وذلك بالإلحاح على الفضائل الإيمانية.

ونتوقف الآن لنحبس قليلاً في ديوان كثير عزة. إذ لم يصلنا سوى قصيدتين في مدح عمر بن عبد العزيز، وأبيات في رثائه. فهناك أبيات من قصيدة أغضى عليها الزمان، يمدح فيها أبا حفص، يقول:

فكم من يتامى بؤّسٍ قد جبرتَها   وألبستها من بعد عري ثيابها
وأرملةٍ هلكى ضعافٍ وصلتَها   وأسرى عناةٍ قد فككتَ رقابها
وراض برفقٍ ما أراد ولم تزلْ   رياضتُه حتى أذل صعابها (٧٢)

أما قصيدته الأولى، التي استهلها بحديث النسيب، الذي لا يخلو من روح الإيماء والتلويح فيها، أو اتخاذها لوناً من ألوان الرمز.. فكم من حسناء تتمنع على من يطلب وصالها. وتأبى عليهم القربى والزلفى.

إذ بدأها بقوله:

ألا طرقتْ بعد العشاء جنَوب   وذلك منها إن عجِبتَ عجيب
أراكم إذا ما زرتُكُم – وزيارتي   قليلٌ – يرى فيكم إلي قُطوب
أبيني أتعويل علينا بما أرى   من الحب أم عندي إليك ذنوب
أبيني فإما مستَجير بعلةٍ   علي، وإما مذنب فأتوب (٧٣)

إنها ذنوب كثيرة. فقد جمع إلى كيسانيته، كثرة الحديث عن الهوى والحب، حتى كأن حياته أضحت رهن لواعج العشق والهيام. ألم يقل عمر بن عبد العزيز: (إني لأعرف صلاّح بني هاشم من فُسادهم بحب كثير. من أحبه منهم فهو فاسد. ومن أبغضه فهو صالح ؛ لأنه كان خبيثاً يؤمن بالرجعة). (٧٤) ولكن كثيراً يغلظ الأيمان على صدقه فيما سيمدح به عمر بن عبد العزيز:

لنعم أبو الأضياف يغشَون ناره   وملقى رحال العيس وهي لغُوب
وحامي ذمارٍ القوم فيما ينوبهم   إذا ما اعترت بعد الخطوبِ خطوب
على كل حالٍ إن ألَمتْ ملمةٌ   بنا عمر والنائباتُ تنوب
فتى صمته حلم، وفصلٌ مقاله   وفي البأسِ محمود الثناء صليب
خطيب إذا ما قال يوماً بحكمة   من القول، مغشي الرواق مهيب
وما الناس أعطَوك الخلافةَ والتقى   ولا أنت، فاشكُره يثبك مثيب
ولكنّما أعطاك ذلك عالم   بما فيك معطٍ للجزيل وهوب(٧٥)

إن عمر بن عبد العزيز هنا لا يختلف عن أي زعيم قبلي. ورث المجد والسيادة من آبائه. مع شجاعة وقوة. وهو خطيب مفوه. وانتهت الخلافة إليه بقضاء وقدر من الله تعالى، وهو المفهوم الذي تردد على ألسنة كثير من شعراء الدولة الأموية، ولاقى ارتياحاً من السلطة القائمة غير عمر بن عبد العزيز.

وفي ديوان كثير قصيدة رثى فيها عمر بن عبد العزيز، وهي تنضح بالحزن والألم. إنه يبكي فيها العدل والحق المتمثل في خلافة عمر بن عبد العزيز. يقول:

لقد كنت للمظلوم عزاً وناصراً   إذا ما تعيا في الأمور حصونُها
وليتَ فما شانتك فينا ولايةٌ   ولا أنت فيها كنتَ ممن يشينها
فعفتْ عن الأموال نفسك رغبةً   وأكرم بنفسٍ عند ذاك تَصونها
كدحتَ لها كدح امرئ متحرجٍ   قَد ايقن أن الله سوف يدينُها
بكتْ عمر الخيرات عيني بعبرةٍ   على إثرٍ أخرى تستهل شؤونها
تذكرتُ أياماً خَلتْ ولياليا   بها الأمن فيها العدلُ كانت تكونها
فمن لليتامى والمساكين بعده   وأرملةٍ باتت شديداً أنينُها
فلما بكته الصالحاتُ بعدله   وما فاتها منه، بكته بطونها
سقى ربنا من دير سمعان حفرةً   بها عمر الخيرات رهناً دفينها (٧٦)

جمع الشاعر للخليفة الراشد خيوط الرثاء، بل نسج له كفناً جديداً، من خيوط الماضي البدوي، ومن الخيوط الإسلامية. فأبكى الأيتام والأرامل والصالحين والدنيا معهم. على صفو الأيام ورخائها. في ظل الفقيد، حيث العدل والزهد والإيثار. وتلك منظومة القيم الإيمانية، التي تجعل صاحبها في مقعد صدق عند مليك مقتدر. وله أبيات أخرى في رثائه. يقول فيها:

عمـتْ صـنائعه، فعـم هلاكُـه   فالنـاس فيـه كلهـم مأجـور
والنـاس مـأتمهم عليـه واحـد   فـي كـل دارٍ رنـةٌ وزفيـر
ردتْ صـنائعه عليـه حيـاته   فكأنه مـن نـشرها منـشور.(٧٧)

ونمضي الآن مع الخبر السابق. (ثم تقدم إليه الأحوص، فاستأذنه في الإنشاد، فقال: قل، ولا تقل إلا حقاً، فأنشده:

وما الشعر إلا خُطبـةٌ مـن مؤلـف   لمنطق حق أو لمنْطـق باطـل
فلا تَقْبلَن إلا الـذي وافـقَ الرضـا   ولا ترجعنا كالنسـاء الأرامـل
رأيناك لم تعدلْ عـن الحـق يمنـةً   ولا يسرةً فعلَ الظلـوم المخـاتل
ولكن أخـذتَ القـصد جهـدك كلـه   تَقُد مثالَ الـصالحين الأوائـل
ولكن رجونا منك مثلَ الـذي بـه   صرفنَا قديـماً من ذَويك الأوائـل
فإن لم يكن للـشعرِ عنـدك موضـع   وإن كان مثلَ الدر في فتـل فاتـل
فإن لنا قُربـى ومـحض مـودةٍ   وميراثَ آباءٍ مـشَوا بالمناصـل
وقبلك ما أعطـى هنَـيدةَ جِلـةً   على الشعرِ كعباً من سديس وبـازلِ
رسولُ الإله المستَـضاء بـنورِه   عليه سلام بالـضحى والأصـائل

فقال له عمر: إنك (يا أحوص) تُسأل عما قلت. وتقدم نُصيب، فاستأذنه في الإنشاد، فلم يأذن له. وأمره بالغزو إلى دابق. فخرج وهو محموم. وأمر لي بثلثمئة درهم. وللأحوص بمثلها. وأمر لنصيب بمئة وخمسين درهماً).(٧٨)

وليكن منك ذكر لزيارة الأحوص عمر بن عبد العزيز، لأن بعض الأخبار تزعم: (أن سليمان بن عبد الملك أمر بنفيه إلى دهلك، فثوى هناك سلطان سليمان، وولاية عمر).(٧٩) وساق ابن سلام في طبقات فحول الشعراء خبراً يذكر فيه نفي سليمان للأحوص. ولم يعلق على الخبر أستاذنا محمود شاكر - رحمه الله تعالى - محقق الكتاب، بل اكتفى بالتعليق على البيت الذي عرضه عمر بن عبد العزيز على أسماع من استشفع للأحوص عنده: (فقال عمر: من الذي يقول:

فمـا هـو إلا أن أَراهـا فُجـاءة   فأُبهتَ حتـى مـا أكـاد أُجيـب

قال: الأحوص).(٨٠) فقال المحقق: (البيت ينسب لعروة بن حزام، وابن الدمينة، وليس من شعر الأحوص. وأظن أن ابن سلام، أو من حدثه وهم. وكان يريد قول الأحوص:

وأُغضي على أشياء مـنكم تَـسوؤني   وأُدعى إلى مـا سـرّكم فأُجيـب)

وهذا يرجح لدي أن صاحب الأغاني قد اغتر بالشطر الأول من الخبر الذي ساقه عن مصعب بن عثمان، حيث زعم الخبر: (أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة لم تكن له همة إلا عمر بن أبي ربيعة والأحوص. فكتب إلى عامله على المدينة: قد عرفت عمر والأحوص بالخبث والشر، فإذا أتاك كتابي هذا فاشددهما واحملهما إلي).(٨١) فالخبر وإن كان يشهد صادقاً أن الأحوص كان في الحجاز ولم يكن في دهلك يومها. إلا أنه يضطرب وهو يذكر عمر بن أبي ربيعة معه. وعمر هذا توفي سنة ثلاث وتسعين، أي قبل خلافة عمر بست سنوات على الأرجح. أما الشطر الآخر – الذي يخص الأحوص – فيلتقي مع ما ذكره ابن قتيبة، وهو – فيما أزعم – صادق فيه.

(يقول: فدعا الأحوص، فقال: هيه !

اللهَ بيني وبين قيمها ... يهرب مني بها وأتبع

ثم أمر بنفيه إلى بيش، وقيل: إلى دهلك، وهو الصحيح، فنفي إليها، وكُلّم فيه، فقال: والله لا أرده ما كان لي سلطان) (٨٢).

أما خبر ابن قتيبة فيقول: (وشُكي الأحوص إلى عمر بن عبد العزيز، فنفاه عن المدينة إلى قرية من قرى اليمن، على ساحل البحر، فدخل إليه عدة من الأنصار، فكلموه فيه، وسألوه أن يرده إلى المدينة، فقال لهم عمر: من القائل ؟:

أدور ولولا أن أرى أُم جعفرٍ ... بأبياتكُم ما درتُ حيثُ أدور

قالوا: الأحوص، قال: فمن الذي يقول ؟:

ستُبلَى لكم في مضمرِ القلبِ والحشا ... سريرةُ حب يوم تُبلى السرائر

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول ؟:

اللهُ بيني وبين قَيِّمها ... يفر مني بها وأتبع

قالوا: الأحوص، قال: لا جرم لا رددته إلى المدينة ما كان لي سلطان) (٨٣).

وهذا الخبر يغنينا عن الاحتمالات والتبريرات التي ساقها الأستاذ الفاضل محقق ديوان الأحوص، وهو يرد الأخبار التي تذهب إلى نفي الأحوص إلى دهلك بأمر من سليمان بن عبد الملك. أو بأمر من الوليد كما ذكر البلاذري (٨٤). وإن كانت من المحقق التفاتة موفقة وهو يقول: (فنحن إذاقرأنا القصيدة التي مدح بها الأحوص عمر

رأينا عليها ميسمه، ورأينا فيها نمطه، ورأينا فيها هذه الفكرة التي يلح عليها دائماً، وهي فكرة العطاء، يقول:

ولولا الذي قد عودتنا خلائفٌ   غَطاريفُ كانت كالليوث البواسل

ثم إننا نجد أيضاً ذكراً للقرابة التي بينه وبين عمر... ولا نجد في شعره قصيدة أو مقطوعة من استعطاف سليمان كي يعفو عنه ويرده) (٨٥). ونقلت كتب الأدب والأخبار استعطاف الأحوص عمر بن عبد العزيز، (إذ كتب إليه الأحوص يستأذنه في القدوم ويمدحه، فأبى أن يأذن له، وكتب فيما كتب إليه به:

أيا راكباً إما عرضتَ فبلغَنْ   هديتَ أمير المؤمنين رسائلي
وقُلْ لأبي حفصٍ إذا ما لقيتَه   لقد كنت نفاعاً قليلَ الغوائِل
فكيفَ ترى للعيشِ طيباً ولذةً   وخالُك أمسى موثقاً في الحبائِل
وشَى وأطاعوه بنا وأعانَه   على أمرنا من ليس عنا بغافل
وكنتُ أرى أن القرابةَ لم تدع   ولا الحرمات في العصورِ الأوائل)(٨٦)

ولم تُجده قصيدته هذه شيئاً، إذ جفت الأرحام التي حاول تحريكها، فالرحم إن لجت في الفاحشة والبذاءة، والنيل من أعراض المسلمين لا توصل. لأن حرمة المسلم عند الله تعالى عظيمة. ولا بد من حمايتها من اللاهين العابثين، ولو بلغ الأمر نفيهم، حيث لا حلم ولا دين يردع عن ذلك. ولكنه أراد أن يلبس على عمر، فما بلغ عمر عنه اتهام من ابن حزم، ووشاية كاذبة. وأنى يقبل جرح الثقاة من المجروحين كالأحوص وأمثاله. وهو الذي يرى الحياة لهواً وعبثاً ومطاردة أوهام، أليس القائل؟:

وما العيشُ إلا ما تَلَذُّ وتشتهي   وإن لام فيه ذو الشنان وفَنَّدا
إذا كنتَ عزهاةً عن اللهوِ والصبا   فكن حجراً من يابسِ الصخرِ جلمدا(٨٧)

وتزعجه أيام نفيه واغترابه، وتطلق لسانه ويده، فيكتب قصيدة ثانية إلى عمر بن عبد العزيز، عله يرق لحاله، ويشفق عليه من وعثاء النفي، وسبي الغربة، والمدينة المنورة عند الأحوص مدارج صبا، ومطارح هوى وغرام، ومسرح قصص اللهو والحب. ولكن عمر كان مشغولاً عن ذلك. وشدته على أهل الباطل لا تخفى، فلم تحرك أبيات الأحوص شيئاً من عمر. يقول:

ألستَ أبا حفصٍ هديتَ مخبري   أفي الحق أن أُقصى ويدنَى ابن أسلَما
ألا صلةُ الأرحامِ أدنى إلى التقى   و أظهر في أكفائِه لو تكرما

فما ترك الصنع الذي قد صنعتَه   ولا الغيظُ مني ليس جِلداً وأعظُما
وكنا ذوي قُربى لديك فأصبحتْ   قرابتُنا ثدياً أجد مصرما
تدارك بعتبى عاتباً ذا قرابةٍ   طوى الغيظَ لم يفتح بسخطٍ له فما(٨٨)

ويقدم لنا الأحوص في هذه الأبيات دليلاً على أن عمر بن عبد العزيز هو الذي نفاه إلى دهلك، في قوله:

فما ترك الصنع الذي قد صنعته   ....

فلم يذكر سليمان ولا غيره. ويمكث الأحوص خلافة عمر في دهلك، ولا ينقذه مما هو فيه إلا وفاة عمر بن عبد العزيز، وانتهاء الأمر إلى يزيد بن عبد الملك.

ويجدر بي أن أشير إلى ما ذكره البلاذري – ولو ذكر أن الوليد بن عبد الملك سير الأحوص الشاعر إلى دهلك – إذ يقول: (فلما استخلف عمر كتب إليه:.... فبعث عمر إلى عراك الغفاري. وكان الذي شهد عليه، فقال: ما ترى في هذا البائس، فقد كتب ما ترى ؟ فقال عراك: مكانه خير له. فلما ولي يزيد أقدم الأحوص، وسير عراكاً، فقال الأحوص:

ألان استقر الملك في مستقره   وعاد لعرفٍ أمره المتنكر
طريد تلافاه يزيد برحمةٍ   فلم يمس من نعمائِه يتعذر(٨٩)

وأعتقد أن هناك قصائد أخرى في مدح عمر بن عبد العزيز، ولكنها لم تسلم من ضر الزمان، فضاعت مع ما ضاع من أشعاره. يذكر الأصفهاني أن الأحوص (دخل على يزيد بن عبد الملك، وهو خليفة. فقال له يزيد: والله لو لم تمت إلينا بحرمة، ولا توسلت بدالة، ولا جددت لنا مدحاً، غير أنك مقتصر على البيتين اللذين قلتهما فينا، لكنت مستوجباً لجزيل الصلة مني، حيث تقول:

وإنّي لأستحييكم أن يقودني   إلى غيركم من سائر الناس مطْمع
وأن أجتدي للنفع غيرك منهم   وأنتَ إمام للرعية مقْنَع

وهذه قصيدة مدح بها عمر بن عبد العزيز) (٩٠). ولم يخف الأحوص يأسه من عمر بن عبد العزيز وتطلعه إلى يزيد بن عبد الملك ولي عهده، إذ علق آماله بالخلاص من دهلك، وعودته إلى المدينة بيزيد. فها هو يصرح بذلك:

لولا يزيد وتأميلي خلافتَه   لقلتُ ذا من زمان الناس إدبار (٩١)

إن وفاة عمر بن عبد العزيز فتحت لمرضى القلوب من الشعراء قصور بني مروان وخزائنهم. ولو لم يكن من مجون الأحوص إلا قصته مع أخت امرأته لكانت سبباً كافياً لازدرائه وجفوته واطراحه. يقول ابن سلام: (إن الأحوص بن محمد الشاعر كان يهوى أخت امرأته، ويكتم ذلك، وينسب بها ولا يفضح. فتزوجها مطر، فبلغه الأمر، فأنشأ يقول:

أأن نادى هديلاً ذاتَ فلجٍ   مع الإشراق في فَنَنٍ حمام
سلام اللهِ يا مطر عليها   وليس عليك يا مطر سلام) (٩٢)

ونعود إلى نصيب وهو على بساط عمر بن عبد العزيز. (بعدما ولي الخلافة، فقال له: إيه يا أسود ! أنت تشهر النساء بنسيبك ؟! فقال: إني قد تركت ذلك يا أمير المؤمنين، وعاهدت الله أن لا أقول نسيباً – وكان قد اشتهر به – وشهد له بذلك من حضر، وأثنوا عليه خيراً. فقال: أما إذا كان الأمر هكذا ! فسل حاجتك، فقال: بنيات لي نفضت عليهن سوادي فكسدن، أرغب بهن عن السودان، ويرغب عنهن البيضان. فقال: فتريد ماذا ؟ قال: تفرض لهن، ففعل، ونفقة لطريقي، قال: فأعطاه حلية سيفه وكساه ثوبيه. وكانا يساويان ثلاثين درهماً) (٩٣).

ويسوق ابن عبد ربه هذا اللقاء بقوله: (استأذن نصيب بن رباح على عمر بن عبد العزيز، فلم يأذن له، فقال: أعلموا أمير المؤمنين أني قلت شعراً أوله الحمد لله، فأعلموه فأذن له، فأدخل عليه، وهو يقول:

الحمد للهِ أما بعد يا عمر   فقد أتتنا بك الحاجاتُ والقدر
فأنتَ رأس قريشٍ وابن سيدها   والرأس فيه يكون السمع والبصر

فأمر له بحلية سيفه) (٩٤) – ولا ننسى أن عبد العزيز بن مروان اشترى الشاعر وأعتقه – أما بقية القصيدة فلم تجد طريقاً إلينا، وذكر جامع شعر نصيب ثلاثة أبيات في مديح عمر بن عبد العزيز، وهي:

إليك أبا حفصٍ تعسفتْ الفلا   برحلي فتلاء الذراعين جلْعد
تؤمك ترجو العرف منك وتجتدي   بذاك ونعم المجتدي المتعمد
جرت للذي كانت عليكم تُعود   على عادةٍ كانتْ لنا منك إنما (٩٥)

وهذه الأبيات أنشودة استجداء. وهذا دأبه ودأب أمثاله من شعراء الارتزاق.

وبعد وفاة عمر بن عبد العزيز رثاه نصيب بقصيدة، لم يخلص لنا منها سوى أربعة أبيات، وهي:

بكيت ابن ليلى وابنَه ورأيتني   أحق الألى كانوا معي ببكاهما
هما حذَياني الخير حتى تشعبتْ   غصوني بنبت ناضرٍ في ثراهما
وكنتُ أرى أني إذا أُبتُ ليلةً   من الدهر قد أيقنتُ ألا أراهما
سأقضي فلم أفعلْ ولكن منيتي   تراخى إناها بعد حين إناهما (٩٦)

لقد نكأت الجراح الجراح، فقد جددت وفاة عمر أحزان نصيب. إذ فقد ولي نعمته وحريته عبد العزيز بالأمس. واليوم ينقطع رشاء المال والخير في حياته، فأيامه الخضرة النضرة من نوالهما وفضلهما. ولا معنى للحياة بعدهما، فهما طاقتا فضل وإحسان بالنسبة إليه.

وممن وفد إلى عمر بن عبد العزيز من الشعراء ومدحه أعشى ربيعة بن النعمان التغلبي – وكان حظياً عند الوليد بن عبد الملك – فلم يعطه شيئاً. وقال له: ما أرى للشعراء في بيت المال حقاً، ولو كان لهم فيه حق لما كان لك ؛ لأنك امرؤ نصراني. فانصرف الأعشى – وما ندري ما الشعر الذي قاله له – وهو يقول:

لعمري لقد عاش الوليد حياتَه   إمام هدى لا مستزاد ولا نَزر
كأن بني مروان بعد وليدهم   جلاميد لا تَنْدى ولو بلها القَطْر (٩٧)

وذكر صاحب (خزانة الأدب) أن أبا بردة الأشعري قال: حضرت مع عمر بن عبد العزيز جنازة، فلما انصرف انصرفت معه، وعليه عمامة قد سدلها من خلفه، فما علمت به حتى اعترضه رجل على بعير، فصاح به:

أجِبني أبا حفصٍ لقيتَ محمداً   على حوضه مستبشراً ورآكا

فقال عمر بن عبد العزيز: لبيك، ووقف، ووقف الناس معه، ثم قال: فمه ؟ فقال:

فأنتَ امرؤٌ كلتا يديك مفيدةٌ   شمالُك خير من يمين سواكا

قال: ثم مه ؟ فقال:

بلغتَ مدى المجرين قبلك إذ جروا   ولم يبلغ المجرون بعد مداكا
فجداك لا جدين أكرم منهما   هناك تناهى المجد ثم هناكا

فقال له عمر: أراك شاعراً، مالك عندي حق، قال: ولكني سائل وابن سبيل، فالتفت عمر إلى قهرمانه، فقال: أعطه فضل نفقتي، فقال: وإذا هو عويف القوافي)(٩٨).

ويذكر الأصفهاني خبراً عن وفود عويف القوافي على عمر بن عبد العزيز وإنشاده:(

يا عمر الخيرِ الملقى وفْقَه   سميت بالفاروق فافرق فَرقَه
وارزقْ عيالَ المسلمين رِزقَه   واقْصد إلى الجود ولا تَوقه
بحرك عذب الماء ما أعقّه   ريك فالمحروم من لم يسقَه

فقال: لسنا من الشعر في شيء، ومالك في بيت المال حق، فألح عويف يسأله، فقال: يا مزاحم، انظر فيما بقي من أرزاقنا فشاطره إياه. ولنصبر على الضيق إلى وقت العطاء..) (٩٩)

وهذا دكين الراجز – ولم يصلنا رجزه الذي مدح به عمر بن عبد العزيز أبان إمرته المدينة المنورة – يستنجز الخليفة ما وعده، وهو أمير المدينة. يقول: امتدحت عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة، فأمر لي بخمس عشرة ناقة كرائم صعاب، فكرهت أن أرمي بها الفجاج ؛ فتنتشر علي. ولم تطب نفسي ببيعها، فقدمت علينا رفقة من مضر، فسألتهم الصحبة، فقالوا: إن خرجت في ليلتك، فقلت: إني لم أودع الأمير، ولا بد من وداعه. قالوا: إنه لا يحتجب عن طارق ليل، فأتيته، فاستأذنت عليه، فأذن لي، وعنده شيخان، لا أعرفهما. فودعته، فقال لي: يا دكين، إن لي نفساً تواقة، فإن أنا صرت إلى أكثر مما أنا فيه، فبعين ما أرينك، فقلت: أشهد لي عليك بذلك. فقال: أشهد الله به. فقلت: ومن خلقه ؟ قال: هذين الشيخين – سالم بن عبد الله، وأبو يحيى مولى الأمير -... فإني لبصحراء فلج، إذا ناع ينعى سليمان بن عبد الملك، فقلت: فمن القائم بعده ؟ قال: عمر بن عبد العزيز. فتوجهت نحوه، فلقيني جرير جائياً من عنده، فقلت: يا أبا حزرة، من أين ؟ فقال: من عند من يعطي الفقراء، ويمنع الشعراء. ولكن عول عليه في مال ابن السبيل. فانطلقت، فإذا هو في عرصة داره، قد أحاط الناس به، فلم يمكني الرجل إليه، فناديت:

يا عمر الخيرات والمكارمِ   وعمر الدسائعِ العظائم
إني امرؤٌ من قطَنِ بنِ دارمِ   أطلب ديني من أخ مكارمِ
إذ نَنْتَجي، واللهُ غير نائِم   في ظُلمة الليل وليلِ عاتم
عند أبي يحيى وعند سالم

... ادن مني يا دكين. أنا كما ذكرت لك، إن نفسي لم تنل أمراً إلا تاقت إلى ما هو فوقه، وقد نلت غاية الدنيا. فنفسي تتوق إلى الآخرة. والله ما رزأت من أموال

الناس شيئاً فأعطيك منه، وما عندي إلا ألفا درهم. أعطيك أحدهما، فأمر لي بألف، فو الله ما رأيت ألفاً أعظم بركة منه) (١٠٠).

وهناك أبيات لعتبة بن شماس يمدح عمر بن عبد العزيز، يقول:

إن أولى بالحق في كل حقٍ   ثم أحرى بأن يكون حقيقا
من أبوه عبد العزيز بن مروا   ن، ومن كان جده الفارقا

وساق المبرد البيت الأخير برواية مختلفة:

رد أموالَنا علينا وكانتْ:   في ذُرا شاهق يفوت الأنوقا (١٠١)

وللعجير السلولي بيتان مدح بهما عمر بن عبد العزيز:

الحمد للهِ حمداً لا شريك له   والحمد لله: أما بعد يا عمر
فافرج لنا الباب لا تحبِس مطيتنَا   فإن بابك لا ضيقٌ ولا ضرر(١٠٢)

أما شاعر دمشق عدي بن الرقاع العاملي، فله قصيدتا مديح في عمر بن عبد العزيز: سكبهما في قالب القصيدة البدوية الموروثة. الأولى منها سميت " الحولية " يقال: إنه حبرها سنة. وكان الأصمعي يقول لأصحابه: ألا أنشدكم حولية عدي، ومنها:

أَهم سرى أم عاد للعينِ عائِر   أم انتابنا من آخر الليل زائِر
أغَر يرى الأعلام عاصبةً به   كما عصبتْ بالمرزبانِ الأساور
يسامي السحاب الغر حتى تظله   غمائِم منه فهو أخضر ناضر
يلين إلى من لم يربِه بِريبةٍ   ومنه شماس النفسِ حين يناكر
فَنعم إمام القومِ إذْ كان غازياً   ونعم الفتى في أهله والمسافر(١٠٣)

وإني لأعجب من تلك المقدمة التي استهل بها ابن الرقاع قصيدته. وأظن أنه يجهل موقف عمر من النسيب والغزل. ومثلها لا تلقى منه إلا الجفاء. إذ كانت نفسه التقية تزور عن سماع ما يحرك في الصدر طلبة النساء والهوى، حتى ولو زعم الشاعر أنها أحلام نائم:

فَبت أُلَهى في المنامِ كما أرى   وفي الشيبِ عن بعض البطالة زاجِر
بساجية العينين خَودٍ يلَذها   إذا أطرقَ الليلَ الضجِيع المباشر
كأن ثناياها بناتُ سحابةٍ   حداهن شُؤْبوب من الغيث باكر

فالأبيات بنات شوق وهوى، ولا سبيل أمامها إلى عمر، وإلى جانبها حديث طويل عن شجاعة عمر وإقدامه. إذ ترسم له صورة وهو يتقدم جيشاً عرمرماً، قد نهد إلى أرض الفتح، إلى جيحان الجيوش. وما اشتهر عمر بن عبد العزيز بقيادة الجيوش، ولا منازلة أعداء بنفسه. ثم يلفه بعباءة سابغة من النسب الكريم، ووضاءة الوجه، وجمال المحيا. ليرجع ثانية مشهراً سيفه، عالية رايته في بلاد الأعداء:

رمى بالسرايا كل ثغرٍ وقادها   هو الرأس يهدينا ونحن الأباهر
يفرقُهم طوراً، وطوراً يلفهم   كما لف شَذّان القداحِ المقَامر
وعسكر جنباً ما يريم مكانَه   بأرضٍ فضاءٍ، وهو للروم واتر

ويعجب القارئ من حديث الشاعر عن كثرة السائلين بباب الخليفة، وقد أغنى عمر الناس، إذ فاضت الأموال، ولم يعد هناك من يقبل الصدقة، فلم يزدحمون على أبواب عمر، ولا يخفى ما في ذلك من ذل ورهق.

ولا شك أن كل استفاضة في المديح واستقصاء، توقع الشاعر في التكرار والتزيد والتزوير، وهذا ما وقع فيه ابن الرقاع في قصيدته هذه، التي تكاد تكون صورة عن قصائده في أسلاف عمر من الخلفاء – إذ كان شاعر بني أمية.

أما القصيدة الثانية التي نسجها مديحاً لعمر بن عبد العزيز، فها هي ذا:

لِمن رسم دارٍ كالكتابِ المنَمنَمِ   بمنْعرجِ الوادي فُويقَ المهزمِ
مدحتُ أمير المؤمنين الذي اصطفى   لنا ربنا فضلاً على كل مسلمِ
جمعتَ اللواتي يحمد اللهُ عبده   عليهن وليهنأ لك الخير فاسلمِ
فأولُهن البِر والبِر غالِب   وما يك من عيب السرائر يعلمِ
وثانيةٌ كانتْ من اللهِ نعمةً   على المسلمين إنه خير منعمِ
وثالثةٌ أن ليس فيك هوادةٌ   لِمن رام ظُلماً أو سعى سعي مجرِمِ
ورابعةٌ أن لا تزالَ مع التقى   تحث بميمونٍ من الأمرِ مبرمِ
وخامسةٌ في الحكمِ أنك تُنْصفُ الضـ   ـعيف وما من علّم اللهُ كالعمي
وسادسةٌ أن الذي هو ربنا اصـ   ـطفاك فمن يتْبعك لم يتندمِ
وسابعةٌ أن المكارم كلها   سبقتَ إليها كل ساعٍ وملْجِمِ
وثامنةٌ في منْصبِ الناسِ أنه   سما بك منهم معظَم فوقَ معظَمِ
وتاسعةٌ أنّ البريةَ كلها   يعدون سيباً من إمام متَممِ

وعاشرةٌ أن الحلوم توابع   لحلمك في فضلٍ من القول محكم
رأونا قَولوا أمرنا أتقياءنا   وما علمنا أننا لم نُعلم
فهذا ثنائي صادقاً غير كاذبٍ   عليهم ومن لم يقضِ بالحق يندم(١٠٤)

ولا ينكر ما في هذه القصيدة من أطياف إسلامية، وخيوط إيمانية، خص الشاعر الخليفة بها. إلى جانب القيم التقليدية الموروثة من مدائح العصر الجاهلي، (قال سماك بن حرب: كان أهل الجاهلية إذا كان في الرجل ست خصال سودوه: الحلم والعقل والسخاء والشجاعة والبيان والتواضع، ولا يكملان في الإسلام إلا بالعفاف) (١٠٥). ولم يبق بين أيدينا من الأشعار التي قيلت في عمر بن عبد العزيز سوى القليل. فقد ذكر المرزباني أبياتاً للشاعر محمد بن خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، يرثيه، فقال:

هلْ في الخلود إلى القيامة مطْمع   أم للمنون عن ابنِ آدم مدفع
هيهات ما للنفسِ من متأخّرٍ   عن وقتها لو أن علماً ينفع
أين الملوك وعيشُهم فيما مضى   وزمانهم فيه وما قد جمعوا
ذهبوا ونحن على طريقة من مضى   منهم فمفجوع به ومفجع
عثر الزمان بنا فأوهى عظمنا   إن الزمان بما كرهنا مولع (١٠٦)

إن فقد الصالحين وأئمة الهدى ثلمة في حياة الأمة، وصدع في كيانها. والشاعر هنا يعزي نفسه، علها تسلو عن عظم المصاب. فالموت حق في رقاب العباد، وإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، ولو سلم السابقون لسلم اللاحقون.

والمبرد يورد ثلاثة أبيات في رثاء عمر بن عبد العزيز لشاعر مجهول – وقيل: هي لقطرب النحوي – وهي:

أما القبور فإنهن أوانس   بجوارٍ قبرك والديار قُبور
جلّتْ رزيئتُه فعم مصابه   فالناس فيه كلهم مأجور
والناس مأتمهم عليه واحد   في كل دارٍ رنّةٌ وزفير (١٠٧)

إن فقده مصيبة الناس جميعاً. إذ كان أنساً لهم بشخصه وعدله. والآن أنست القبور برفاته وما من مصيبة تجل على الناس كمصيبتهم في إمام عادل – بعد مصيبتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم – وإن كانوا يرجون أجرهم على مصيبتهم وصبرهم.

أما خصوم بني أمية من الشيعة والخوارج والمناوئين لهم من المسلمين، فلم أعثر على قصيدة أو أبيات تغض من طرف عمر بن عبد العزيز، أو تنال منه. فقد أحب

الناس عمر بن عبد العزيز ديانة، لا عن رغبة أو رهبة. واسمع لأحد شعراء الخوارج – وهم لم يرضوا عن أحد من الولاة سوى عمر بن عبد العزيز – وهو عمرو بن ذكينة الربعي، وقد كتب تلك الأبيات لعمر لما استخلف، يذكره بأجداده، ويزري عليهم سرفهم وبطرهم، معلناً موقف فرقته منهم. فلم تغمد سيوفهم بعد. فإذا سار عمر على سبيلهم، لم يكن بينه وبينهم إلا السيف حكماً. وإن دابر سيرتهم، وقصد سبيل الحق، فهم إخوانه وأنصاره. قال:

قل للمولى على الإسلام مؤتنفاً   و قد يرى أنه رث القوى واه
أزرى به معشر غَذوه مأكلةً   بنخوة العز والإتراف والباه
إنا شرينا بدين الله أَنْفُسنا   نبغي بذاك إليه أعظم الجاه
ننهى الولاةَ بحد السيف عن سرفٍ   كفى بذاك لهم من زاجرٍ ناه
فإن قصدتَ سبيل الحق يا عمرا   آخاك في الله أمثالي وأشباهي
و إن لحقتَ بقومٍ كنتَ واحدهم   في جورٍ سيرتهم، فالحكم لله. (١٠٨)

ورغم أن عمر بن عبد العزيز لم يستعمل إلا أهل الصلاح والأمانة والخير في أعماله. فقد راقبهم ورصد الجوائز لمن ينهي إليه ظلم أحدهم. إرغاماً للظلم، وإعزازاً للحق. ونشراً للعدل، إذ كتب إلى أهل الموسم: (أما بعد، فأيما رجل قدم علينا في رد مظلمة، أو أمر يصلح الله به خاصاً أو عاماً من أمر الدين، فله ما بين مئة دينار إلى ثلاثمئة دينار، بقدر ما يرى من الحسبة، وبعد السفر ؛ لعل الله يحيي به حقاً، أو يميت به باطلاً، أو يفتح به من ورائه خيراً) (١٠٩). وكان كثيراً ما يركب فيلقى الركبان ؛ يتحسس الأخبار عن القرى ؛ ليطمئن على الرعية. فقال له راكب من أهل المدينة: (إني تركت المدينة، والظالم بها مقهور، والمظلوم بها منصور، والغني موفور، والعائل مجبور. فسر عمر بذلك، وقال: والله لأن تكون البلدان كلها على هذه الصفة أحب إلي مما طلعت عليه الشمس) (١١٠). وكان يعزل من لا يتحرى الحق، أو يخالف السنة، أو من كانت له يد في ظلم أو قهر.. ألم يرسل إلى الجراح بن عبد الله، عامله على خراسان: (إنه بلغني أنك استعملت عبد الله بن الأهتم. وإن الله لم يبارك لعبد الله بن الأهتم في العمل، فاعزله، وإنه على ذلك لذو قرابة لأمير المؤمنين. وبلغني أنك استعملت عمارة، ولا حاجة لي بعمارة، ولا بضرب عمارة، ولا برجل قد صبغ يده في دماء المسلمين ؛ فاعزله) (١١١). إلا أن شكوى قد بلغته عن أحد ولاته. وهو عدي بن سعيد بن مسعود المازني – وكان على عمان – (إذ أخذ رجلاً من الأزد، يقال له: خليدة بن سعوة، فضربه مئة سوط في ناقة أرادها ابن مسعود، فأتى عمر فشكا ذلك إليه، وأنشد قول كعب الأشقري:

إن كنتَ تحفظُ ما يليك فإنما   عمالُ أرضك بالبلاد ذئَاب
لن يستجيبوا للذي تدعو له   حتى تجلد بالسيوف رقَاب
بِأَكُف منْصلتين أهل بصائر   في رفعهن مزاجِر وعقاب

فأرسل إلى عدي بن أرطاة أن يعزله، ويبعث به إليه مشدوداً موثوقاً، ولما حضر أقاده منه) (١١٢).

وقام إلى عمر بن عبد العزيز رجل – من بني كلاب – وهو على المنبر، فقال:

إن الذين بعثتَ في أقطارها   نَبذوا كتابك واستُحل المحرم
طُلْس الثيابِ على منابرٍ أرضنا   كلٌ يجور وكلهم يتظلم
وأردتَ أن يلي الأمانةَ منهم   عدلٌ وهيهاتَ الأمين المسلم (١١٣)

وكان ابن سعد الأسدي قد تولى صدقات الأغراب لعمر بن عبد العزيز وأعطياتهم. فقال فيه جرير يشكوه إلى عمر:

إن عيالي لا فواكه عندهم   وعند ابن سعدٍ سكّر وزبيب
وقد كان ظنّي بابن سعدٍ سعادةً   وما الظن إلا مخطئٌ ومصيب
فإن ترجِعوا رزقي إلي فإنه   متاع ليالٍ والأداء قريب (١١٤)

ونترك الآن الشعراء وأطماعهم ومبالغتهم وتكسبهم، وكراهية عمر لسماع تملقهم، لنخلو بعمر وتطلعاته وإصغائه لكل ما يحرك الخشية والخوف في قلبه من مشهد يوم عظيم. وتزيده رغبة في عمل ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم. يحدثنا ميمون بن مهران، فيقول: (إنه دخل على عمر بن عبد العزيز، وعنده سابق البربري، وهو ينشد شعراً، فانتهى في شعره إلى هذه الأبيات:

فكم من صحيحٍ بات للموت آمناً   أَتَتْه المنايا بغتَةً بعدما هجع
فلم يستطع إذ جاءه الموتُ بغتةً   فراراً ولا منه بقوته امتَنَع
فأصبح تبكيه النساء مقَنعاً   ولا يسمع الداعي وإن صوتَه رفع
وقُرب من لحدٍ فصار مقيلَه   وفارقَ ما قد كان بالأمس قد جمع
فلا يترك الموتُ الغني لماله   ولا معدماً في المال ذا حاجةٍ يدع

قال: فلم يزل عمر يبكي ويضطرب، حتى غشي عليه. فقمنا، فانصرفنا عنه(١١٥).

ويذكر البلاذي قصيدة لسابق البربري، بلغت سبعة وأربعين بيتاً، يقول: لما ولي عمر بن عبد العزيز كتب إليه سابق البربري، أو أنشده، (ونحن نختار منها الأبيات الآتية):

بسم الذي أُنزِلتْ من عنده السور   والحمد للهِ أما بعدُ يا عمر
فما صفا لامرئٍ عيشٌ يسر به   إلا سيتبع يوماً صفوه الكدر
من يطلب الجور لا يظفر بحاجته   وطالب الحق قد يهدى له الظفَر
والموت جسر لِمن يمشي على قَدمٍ   إلى الأمورِ التي تُخشى وتُنتظَر
وكل بيتٍ خراب بعد جِدته   ومن وراء الشبابِ الموتُ والكبر
ورب أصيد سامي الطرف معتصبٍ   بالتاج نيرانُه للحرب تستَعر
يظل مفترِشَ الديباج محتَجِباً   عليه تُبنى قباب الملك والحجر
قد غادرتْه المنايا وهو مستَلَب   مجدلٌ تَرِب الخدين منعفر
لا تبطروا واهجروا الدنيا فإن لها   غباً وخيماً، وكفر النعمة البطَر (١١٦)

فلهذا الشعر وأمثاله كان يصغي عمر بن عبد العزيز، وبمثله يتقرب إليه الشعراء. بل هو الذي يستنشدهم. ألم يطلب من سابق البربري هذا أن ينشده شيئاً من شعره يذكره به. فقال له: (أو خيراً من شعري ؟ فقال: هات، قال: قال أعشى همدان:

وبينما المرء أمسى ناعماً جذلاً   في أهله معجباً بالعيش ذا أَنَق
فما تزود مما كان يجمعه   إلا حنُوطاً وما واراه من خرق
وغير نفحةِ أعوادٍ تُشَب له   وقلّ ذلك من زادٍ لِمنْطَلَق

قال: فبكى عمر حتى أخضل لحيته) (١١٧).

(وأراد عمر أن يبعث عبد الأعلى بن أبي عمرة رسولاً إلى " اليون " طاغية الروم ؛ يدعوه إلى الإسلام. فقال له عبد الأعلى: يا أمير المؤمنين: ائذن لي في بعض بني يخرج معي – وكان له عشرة من الذكور – فقال له: انظر من يخرج معك من ولدك. فقال عبد الله، فقال له عمر: إني رأيت ابنك عبد الله يمشي مشية كرهتها منه، ومقته عليها، وبلغني أنه يقول الشعر. فقال عبد الأعلى: أما مشيته تلك فغريزة فيه، وأما أمر الشعر فإنما هو نواحة ينوح بها على نفسه، فقال له: مر عبد الله يأتيني، وخذ معك غيره. فراح عبد الأعلى بابنه عبد الله إليه، فاستنشده، فأنشده:

تَجهزي بِجهازٍ تبلغين به   يا نفس قبلَ الردى لم تُخْلَقي عبثا
ولا تكدي لمن يبقى وتفتقري   إنّ الردى وارثُ الباقي وما ورِثا
من كان حين تُصيب الشمس جبهتَه   أو الغبار يخافُ الشّين والشعثَا
و يألفُ الظل كي تبقى بشاشتُه   فكيف يسكن يوماً راغماً جدثَا
قفراء موحشةً، غبراء مظلمةً   يطيلُ تحتَ الثرى من قَعرِها اللَبثَا

وكان عمر يتمثل بها كثيراً ويبكي) (١١٨).

وما كان الشعر يشغل عمر عن كتاب الله عز وجل. وإن شُد إلى ما يغترف من معينه منه، فما من كلام يقع موقع القرآن في القلب الحي. (مر عمر بن عبد العزيز، ومعه مزاحم مولاه يوماً بقصر من قصور آل جفنة، وقد خرب. فتمثل مزاحم بقول الأسود بن يعفر:

جرت الرياح علـى محـل ديـارهم   فكأنمــا كــانوا عــلى ميــعاد

فقال عمر: هلا قرأت: (كم تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قوماً آخرين)(١١٩)(١٢٠). ونسأل الله عز وجل أن يجعل لنا ولعمر وللمسلمين الدار الآخرة. وأن يكتبنا مع الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً.

وهناك بعض الأبيات لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، يعاتب فيها عمر بن عبد العزيز، ولا كبير فائدة من ذكرها في دراستنا. وأختم الحديث عن الشعر ببيت أنشده رجل عمر بن عبد العزيز:

أعوذُ بربِ الناسِ مـن كـل نعمـةٍ   تَقَـر بهـا عينـاي فيهـا أذاهمـا

قال عمر: أعاذك الله ورحمك. ما أحسن ما قلت !. (١٢١)

عمر والشعر:

بعد تلك الجولة مع الشعراء وهم يخبون في ركاب عمر بن عبد العزيز، وشعرهم يتهـادى إلى مسامعه، والأخبار الأدبية تكشف لنا عن ملابساته. وموقف عمر من أشعارهم تلك. نثبت بعض الانطباعات عن الشعراء وشعرهم في رحاب عمر بن عبد العزيز.

فمن خلال العبارات التي وردت في ثنايا الأخبار التي حبسنا عندها، تبين لنا أن حياة عمر بن عبد العزيز توزعتها مرحلتان، وتقاسمهما الفن الشعري. وإذا ضنت المصادر الأدبية علينا، فلم تطلعنا على علاقته مع الشعراء قبل ولايته المدينة، إذ استأثرت به حلقات العلم والعلماء وقتها، فإن تلك المرحلة تمثل البناء الفكري، والخلفية الثقافية لعمر بن عبد العزيز، والتي ستبقى مرجعيته في حياته كلها، إذ الإنسـان ابن عقيدته وتصوره ورؤاه، فقد تشكلت شخصية عمر ضمن القوالب

الإيمانية، التي صاغها الكتاب الكريم والسنة المطهرة، على يد العلماء الربانيين الذين احتضنوه. لمكانة آبائه وأجداده، ولجديته في طلب العلم. ولذا لا يحسن بنا أن نغفل عن تلك التصورات في موقف عمر من فن القول عامة، والفن الشعري خاصة، إذ هو ثمرة علم السلف، وعلم من أعلامهم. وإن كنا نجزم أن عمر بن عبد العزيز لم يتجهم للشعر، ولم يجف الشعراء، إن لم يكونوا من أصدقائه ومقربيه. حيث بينه وبينهم ألفة وإخاء، قد تتخللها فترات جفاء وصدود. فهذا كثير عزة – ومعه الأحوص ونصيب – يقول: (وكل واحد منا يدل بسابقة له وإخاء، ونحن لا نشك أن يشركنا في خلافته) وهذه الشراكة المتوهمة، انبثقت من أيام سالفة، كانت هبات عمر ونواله ترفد هؤلاء الشعراء، وتغريهم بعمر ومودته. وهذا ما أفصح عنه نصيب بشعره الذي ينشده بين يدي أمير المؤمنين عمر فيما بعد، يوم ازور عنهم، وزهد بهم وببضاعتهم:

على عادةٍ كانت لنا منك إنما   جرتْ للذي كانت عليكم تُعود(١٢٢)

ولهج الأحوص بمثل هذا. ولا أبرئ عمر من سماع أشعارهم وقتها، وإنما أربأ به عن سماع الأشعار التي تخدش المروءة، وتثلم الحياء، ولم يكن مع الشعر ذاك إلا بسبيل اتخاذه أدباً وفكاهة، وترويح نفس، ويخفف به عن نفسه عندما يثقل الحق عليها. أما ذاك الشعر الذي يتخذه شداة الرذيلة رقى للفاحشة، فكأن بعمر عن كل فاحشة وقرا، إذ لم يكن ممن يقبل الرفث، أو يجالس أخدانه. والشعر إن لم يكن في الباطل فلا حرج من سماعه.

ولكن هذا الترخص بمجالسة بعض أهل المجون، أو السماع منهم، سيصبح عند أهل الورع مما لا يليق، وهو مما يكدر التقوى. وحسبه أن يكون من لهو الحديث، وهذا ما كان من عمر بعد استخلافه، إذ دابر هؤلاء وتنكر لهم. كما تنكر للدنيا وزينتها ولما يشده إليها، وخلعها وأبناءها وطلابها. وتدثر بلباس التقوى، الذي أغناه عن حلل الثناء من الشعراء ومديحهم، مع خشية عظيمة من فتنة البيان الغلابة. التي تصدر عن من يتبع هواتف الهوى، ومراودة النفوس. ويسدر في أودية الضلال، وقد شهد أسراباً من الشعراء الذين يلهون عن كل وطر طيب من أوطار الحياة، ويهيمون مع شياطينهم في مبالغ الفاحشة، ومعاطن الهجاء المقذع، والفخر الكاذب، والتسول المذل، والمديح المأجور. في أروقة أسلافه، أو في المربد، أو في الكناسة.. وقد شجعهم الولاة على ذاك. فكان منهم العطاء، ومن الشعراء الثناء المحبر. فما كان منه إلا أن يوقف تلك المخصصات للشعراء من بيت مال المسلمين – إذ هي حق الأمة – كي يكسد بضاعة الشعراء إن كانت فاسدة. وهذا ما أثبته في آذان شعراء

المديح الذين وفدوا عليه: (أراك شاعراً، مالك في بيت المال حق). فلم يعد لأشعارهم تلك موقع في أذن عمر، ولن يقبل منهم. (إن إمامكم لا يقبل الشعر). ولذا استدار الشعراء إلى سبيل آخر، ظنوا أنه يوصلهم إلى قلب عمر وعطائه. وهذا ما فطن إليه كثير عزة، ونصح به خلانه من الشعراء (لو أني دنوت من عمر ؛ فسمعت كلامه فحفظته، كان ذلك رأياً). يريد أن يعرف كلام عمر وخواطره، ليصوغ شعراً يلتقي مع كلامه، ولكي يكون على شعرهم ميسم كلام عمر وخواطره ونمط حديثه. وهذا ما فعله كثير في قصيدته تلك – إذ رأى أن سبيل عمر وفجه سبيل من يرجو الله واليوم الآخر، فقال لزميليه ناصحاً: (خذا في شرح من الشعر غير ما كنا نقول لعمر وآبائه، فإن الرجل أخروي، وليس بدنيوي). فعليهم أن يضربوا عن الألوان الشعرية السابقة، ويأخذوا بضرب جديد منه. لأن الرجل من أبناء الآخرة، ويعمل لها. فلا عجب إن قال، وهو يمدح عمر:

تركتَ الذي يفنى وإن كان مونقاً   وآثرتَ ما يبقى برأي مصمم
وأضررتَ بالفاني وشمرتَ للذي   أمامك في يومٍ من الشّرِ مظْلم

وكذلك الأحوص. وإن كان أكثر فطنة من كثير. فالأحوص لم ينس أن عمر بن عبد العزيز قديم عهد بهم وبفنهم الشعري، ويريد أن يمسح من ذاكرته صورتهم السابقة. ويشير من طرف خفي إلى أن الشعر ليس شراً ومنكراً كله.. بل منه ما يمثل صورة الحق والطهر، فليسمع عمر منهم ما يروق له. ولم يكن نصيب غائباً عن تلك المواقف، فعندما ذادوه عن عمر، صرخ (أعلموا أمير المؤمنين أني قلت شعراً، أوله: الحمد لله...). وليكن منك ذكر جرير على بال، وهو يبدل قصيدته التي ينشدها، وقد فتح له الباب إلى بساط عمر، بقصيدة أخرى يمكن أن تتسلل إلى فؤاد عمر ورضاه. ولكن ما قيمة قصائدهم هذه – في نظرهم على الأقل – إذا كانت لا تثمر نوالاً ولا مالاً. وما تجشموا هذه الرحلة، وما أعقبها من انتظار طويل، إلا طلباً للمال والهبات. لقد اتخذوا مسارب متباينة للوصول إلى بغيتهم. وإن كانت قد جمعتهم طريق واحدة، وهو رفع صوت الاستجداء، إذ لم يعودوا يطمئنون إلى أسلوب التعريض. وإن كان كل ذكر للجود والكرم تذكيراً للممدوح ببسط يد العطاء. فما بالك إذا أصبح الشعر ضراعة وصراخاً بالسؤال، وتحول الشاعر إلى مبتذل في امتياحه. ولكن الأطماع مذلة. ومن يهن يسهل الهوان عليه. فلا عجب إذ قال جرير:

ـ إني لأرجو منك خيراً عاجلاً   والنفس مولعةٌ بحب العاجل
ـ هذي الأراملُ قد قضيتَ حاجتَها   فَمن لحاجة هذا الأرمل الذكرِ

ـ أَنهض جناحي في ريش فقد رجعت   ريشُ الجناحين من آبائك النعم
ـ لِتُنعشَ اليوم ريشي ثم تُنْهضني   وتُنْزل اليسر مني منزلَ العسرِ

وهذا نصيب كذلك ينسج قصيدته من هذه الخيوط، ليتخذ منها رشاء لبلوغ عطف الممدوح وعطاياه.

تؤمك ترجو العرف منك وتجتدي   نداك ونعم المجتدي المتعمد

ولما ضاق مال عمر عن مطامع الشعراء، تطلعوا إلى ما في بيت مال المسلمين – فطالما أترعت غرائرهم منه – وعمر يمنع الشعراء ويعطي الفقراء، وهم بعد هذه الرحلة المضنية إليه، انقطعت بهم السبل، ونفد زادهم، وانقطعت رواحلهم. وابن السبيل له حق في بيت المال. وأضحوا هم كذلك. ومن حقهم على الخليفة، وهو الذي يؤثر بالعطاء من ساقته الحاجة، وانتهت به الفاقة، أن يكفيهم مؤونتهم ومؤونة عيالهم، الذين ذكروهم في أشعارهم. فكلٌ قال: أنا ابن سبيل، ومنقطع به، وسائل.. ولكن جريراً كان أفصح مسألة، حيث قال:

والله أنزلَ في الكتابِ فريضةً   لابنِ السبيل، وللفقير العائل

وزاد عليهم الأحوص، بإدلاله بقرابته من عمر، فحرك خماص الرحم بأزمة الطمع، لاستخراج الأموال، كما رأينا سابقاً.

وقد يكون الطريق الأمثل لتحقيق بغية الشعراء من الخليفة الراشد، واستمطار هباته، هو ما فطن إليه الأحوص، فإذا كان عمر أخروياً، فسبيل الآخرة متابعة النبي صلى الله عليه وسلم.. والرسول صلى الله عليه وسلم أجزل العطية للشعراء، وكافأ على الفن الشعري. ألم يعط كعب بن زهير مئة من الإبل (هنيدة)، بعد أن جاءه مسلماً – وكان قد أهدر دمه – فسمع منه قصيدته المشهورة:

بانتْ سعاد وقلبي اليوم متبولُ   متيم إثرها لم يفد مكبولُ

ثم حباه. ولعل في ذلك تذكيراً لعمر، ودفعاً له إلى رفد الشعراء. فقال:

وقبلك ما أعطى هنَيدةَ جِلةً   على الشعرِ كعباً من سديس وبازِل
رسولُ الإله المستضاء بنوره   عليه السلام بالضحى والأصائِل

إن عمر عن مثله لمشغول، رغم مافي الاستجداء من هوان الشعر والشاعر، وإذلال لملكاته ومواهبه، واستخفاف بها، وضياع للرسالة التي يحملها، وبعد عن وعي مهمة الشعر

ورسالته. وقد أكثر هؤلاء من السؤال بالشعر، وجعلوا أشعارهم طعمة، ففشت فيهم الضراعة، واطمأنت بهم دار الذلة. فتحولوا بالشعر إلى صناعة وحرفة يقتاتون من ورائها. وما أركبهم هذه السبيل إلا بنو أمية، إذ تركوا الناس يطمحون إلى قول الشعر، لما لقي الشعراء من جودهم والحظوة لديهم. أما عمر بن عبد العزيز فقد انتفت الرغبة عنده فيه، أو الرهبة من ألسنة أصحابه. استقوى بالعدل والحق، واستظهر بالتقوى والاستقامة. فانطلقت ألسنة الصالحين بالثناء عليه بين العباد – على غير حرص عليه – وإن كان الثناء ثواباً معجلاً. ولم يخش غوائل الشعراء ولا غوائل غيرهم. أليس هو القائل: (أبيوم سوى يوم القيامة تخوفونني ؟ فكل خوف أتقيه قبل يوم القيامة لا وقيته)(١٢٣). لقد شغل الناس بمثل ما هو عليه من الصلاح. والشعراء والخطباء من جملة الناس. والناس – كما قيل – على دين ملوكهم. (والمرؤ أشبه شيء بزمانه، وصيغة كل زمان منتخبة من سجايا سلطانه) (١٢٤). أطرى ابن الأهتم بني أمية، وأفرط في مديحهم. - وهكذا كان الشعراء -. فقال عمر: (من سره أن ينظر إلى الأفاك الأثيم، فلينظر إلى ابن الأهتم) (١٢٥). فاسمعه الآن، وهو يخطب بين يدي عمر بن عبد العزيز – منصرفاً عن مبالغاته، متسربلاً بردة الناصحين المشفقين -: (ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدهما – أبي بكر وعمر – إلا على ضلع، ثم انك يا عمر ابن الدنيا، ولدتك ملوكها، وألقمتك ثديها، فلما وليتها ألغيتها، وأحببت لقاء الله وما عنده، فالحمد لله الذي جلا بك حوبتنا، وكشف بك كربتنا، امض ولا تلتفت. فإنه لا يغني عن الحق شيء) (١٢٦).

لقد سعى عمر بن عبد العزيز جاداً أن يعيد الحياة إلى السبيل التي حدد صواها نبي الإسلام. وأن يعيد للقيم الإسلامية مكانتها، بعد أن دفعتها القيم الجاهلية القبلية عن ساحتها، وما توجه الشعر إلى شعاب الجاهلية، أو تدثر بأسمالها، إلا استجابة للتحول بالحكم من الخلافة الراشدة إلى الملك العضوض، ووجدت تلك القيم الجاهلية ضالتها عند شعرائهم، بعد أن أضوتها القيم الإيمانية فترة من الزمن.

فانجحر ذكر الأيام والوقائع والفضائل التي راجت على ألسن الشعراء، بعد أن استعاروها من الشعر الجاهلي والحياة الجاهلية.. وأصبحت المفاخر التي يدل بها الناس إلى عمر، هي التقوى والإحسان وبلاء الآباء والأجداد في سبيل الله عز وجل، وإعلاء كلمته. (قام رجل من الأنصار إلى عمر بن عبد العزيز، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا فلان بن فلان، قتل جدي يوم بدر، وعمي يوم أحد. فجعل يذكر مناقب آبائه، فنظر إلى عنبسة بن سعيد فقال: هذه والله المناقب، لا مناقبكم يوم مسكن والجماجم، ثم تمثل:

تلك المكارم لا قعبان من لبن   شيبا بماء فعادا بعد أبوالا (١٢٧)

فكساه وزوجه وحمله، وأثبت اسمه في شرف العطاء، وقال: بمثل هذا فليمت إلينا المتوسلون) (١٢٨).

وإن أبى الشعراء إلا مديحاً – (واحثوا في وجوه المادحين التراب) (١٢٩) (وإياكم والتمادح فإنه الذبح) (١٣٠) – فليكن بمآثر إيمانيـة، وفضائل نبوية، وبالالتزام بسنن الهدى، وسبيل الراشدين – كالفاروق الذي اتخذه عمر قدوة في خلافته – بعد أن كان الوليد ين عبد الملك يقول: (لا تحدثونا عن عمر بن الخطاب فإنه طعن علينا)(١٣١). ولا غرابة إذا امتد الطابع الإسلامي في ساحة القصائد التي مدح بها عمر بن عبد العزيز، فترى القيم الإيمانية تتلألأ، وإلى جانبها القيم التقليدية تنوص، وإن كنا نتطلع أن تكسف تلك القيم من سماء القصائد تلك، ولا تتهادى ولو كانت على استحياء.. لأن المديح الحق يكون بما يكسبه المرؤ ويعمل له ويعمله. وهو ما أشار إليه نقادنا السابقون، كصاحب منهاج البلغاء وسراج الأدباء (يقول: فأما مدح الخلفاء فيكون بأفضل ما يتفرع من تلك الفضائل وأجلها وأكملها، كنصرة الدين، وإفاضة العدل، وحسن السيرة، والسياسة والعلم والحلم والتقى والورع والرأفة والرحمة والكرم والهيبة، وما أشبه بذلك) (١٣٢). وكلها تمثل السمو في المقام الإنساني، والكمال في النموذج البشري. ولكن السياسة الجائرة ردت الشعر إلى رواسـم القصيدة الجاهلية ومثلها. " ولم يتطلع عمر إلى شيء من ذلك، مع مقت للثناء عليه، والتزكية له. وخاصة إذا شيب بالمبالغة والإسراف في كاذب المديح وباطله: (دخـل عليه خالد ابن عبد الله القسري، لما ولي الخلافة، فقال: يا أمير المؤمنين، من تكون الخلافة قد زانته، فأنت قد زنتها. ومن تكون شرفته، فأنت قد شرفتها، كما قال الشاعر:

وإذا الـدر زان حـسن وجـوه   كـان للـدر حـسن وجهـك زينـا

فقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: أعطـي صاحبكـم مقولاً، ولم يعط معقولاً، فأعرض عنه) (١٣٣) وفي رواية البلاذري: (قال: دعني فأنا أعلم بنفسي وذنوبي، وإني إلى عفو الله أحوج مني إلى تقريظك إياي) (١٣٤).

واللافت للنظر أن نسمع لصوت فكرة " الجبرية " جلبة في بعض قصائد المديح، وما ذاك بالذي يرضي عمر أو يقره. فالذي أوصل عمر إلى الخلافة هو العالم بحقائق الرجال، حيث الصلاح والكفاءة. فكان الاصطفاء والاختيار. ولا شك في ذلك، ولكن الإلحاح عليها من شعراء المديح لأسلاف عمر، تمثل كلمة حق أريد بها باطل.. فهم يريدون بذلك من الرعية أن تنصاع وتستسلم لهذا القدر، حيث لا راد لإرادة الله. وكل مناهضة لهم خروج على إرادته وقدره، والذي يفهمه عمر وسلف هذه الأمة من ذلك

القول: أنه لا تصادم بين العمل على مدافعة أهل الظلم والجور، وبين الإيمان بقضاء الله وقدره ؛ لأن الله تعالى لم يأمر عباده أن يستسلموا للقدر، وإنما أمرهم بالرضى بما وقع، والإيمان بأنه من قدر الله. كما أمرهم بتغيير الأوضاع البائسة، والمنكرات المتطاولة، وهذا الفهم يقطع الطريق على جرير وغيره – إذ غالى في الإلحاح على هذه الفكرة وأسرف – وهو يذهب بعيداً.

والله أعطـاكم مـن علمـه بكـم   حكماً ومـا بعـد حكـمِ الله تعقيـب

وكذلك كثير عزة في قصيدته التي مدح بها عمر بن عبد العزيز:

وما الناس أعطوك الخلافـةَ والتقـى   ولا أنـت فاشـكره يثبـك مثيـب
ولكنـما أعـطاك ذلـك عـالـم   بما فيـك معـطٍ للجزيـل وهـوب

وما أجمل تلك الصفات الإيمانية التي نظمها جرير عقد مديح، طوقه عنق عمر. وإن كنت لا أخفي قناعتي بمجاراته شعراء الشيعة، أو الرد عليهم، وهو يطلق صفة " المهدي " على عمر، وهو من أهلها، وحقيق بها:

خليـفة الله ثـم اللهُ يحفـظه   والله يصحبك الـرحمن فـي الـسفرِ
أنـتَ المبـارك والمهـدي سـيرته   تعصي الهوى وتقوم الليـلَ بالـسورِ

لقد ضيق عمر على الشعراء ؛ بحرصه على الالتزام بكلمة الحق والصدق، وهم يتعثرون بماضيهم الشعري، ومواقفهم مع من قبله من الخلفاء. الذين عابهم، وسفه سيرتهم. ولولا نصيحة أهل العلم، لنادى بلعن الظالمين، ومامنعه إلا نصيحة ميمون بن مهـران بقوله: (إن القول فتنة، فعليـك بالعمل) [١٣٥].

وكما نفتقد في القصائد التي قيلت في مدح عمر بن عبد العزيز صوت الهجاء لخصوم السلطة، إذ قلّ أن تقرأ قصيدة في مدح خليفة، إلا ويتبطنه هجاء لخصومه والثائرين عليه.. حتى أضحى الهجاء لازمة المديح. ولكن ماذا يفعل الشعراء ولا خصوم لعمر بن عبد العزيز إلا من بني مروان.. والأمة ملتقية على محبته وطاعته، وهو قائم في محراب الخلافة الراشدة. والثناء يهدر من ألسنتها، وهو نصرة لأهل الخير والحق.

وكان من حق الشعر، وهو يترعرع في ظل خلافة راشدة، أن يعبر عن المعاني الإسلامية، والقيم الإيمانية، ويعمق الشعر مجرى القصيدة الإسلامية الذي اختطه شعراء صدر الإسلام. ولكنهم – كما رأينا- آثروا صورة القصيدة الجاهلية وبعثها في فنهم الشعري من جديد. إذ نظروا إليها نظرة إجلال وإكبار. والتزموا بصورتها

العامة. وتقيدوا بكثير من قيودها الفنية، التي رقص كثير من الشعراء بأغلالها. فتغزل الشعراء في صدور قصائدهم، أو وصفوا الظغائن، وشكوا الأوجاع والهموم. ثم ارتحلوا مطاياهم، ليتوجهوا إلى الغرض الأساس في القصيدة. مع أن من بين الشعراء هؤلاء فحولاً محلقين، كجرير وغيره. إلا أن الحياء والتهيب ممن حملوا إليهم شعرهم أضمر تلك التقاليد الفنية، ليتسع فضاء قصائدهم لما يتناسب مع جلال الخلافة، وسرابيل التقى. وخير شاهد على ذلك قصيدة جرير المدحية، التي مطلعها:

لجت أمامةُ في لـومي ومـا علمـت   عرض السماوة روحاتي ولا بكَـري
ماهوم القوم مذ شـدوا رِحـالَـهم   إلا غشَاشاً لدى أعضـادها اليـسرِ

إذ افتتحها بالنسيب، ولكن على عجل، لينتقل إلى الحديث عن معاناة الرحيل، ووعثاء الأسفار. وإنضاء الرواحل وكلالها. ثم يهب لينسج حلل الثناء السابغة لعمر بن عبد العزيز، من خيوط إسلامية، ولحمة إيمانية. يستنفد خيوطها، فيهرع إلى القيم التقليدية، إذ أثنى عل طيب أرومته، أباً وخالاً، وعلى بيت الشرف الذي ولد فيه عمر. والسيادة التي ورثها عن الآباء والأجداد. وصاغ جرير قصيدته بإحكام، حيث القوة والجزالة، وإحكام النسج وروعـة البيان. وكذلك كان حال كُثير إلا أنه - وكعادته – يؤثر المقدمات الغزلية لقصائده. إن لم يتخل عنها كلياً. ويشاركه الأحوص في ذلك.

وإن كان من عجب، فهو من صنيع عدي بن الرقاع، نزيل حاضرة بني أمية. إذ تسربل أطمار بدوي على متن راحلته، التي رعتها الفيافي والقفار، فلم تبق منها إلا جلداً وعظماً، كي تحط رحاله عند الخليفة، ثم يطنب بمديحه، ويجمع له من الفضائل والشمائل الجـبـِلـّيه والكسبية، وشاحاً مطرزاً، نسجه من الخيوط التقليدية والإسلامية. إلا أن القصيدة الثانية كانت أحظى وأوفر تقليداً:

ـ لِمن رسم دارٍ كالكتـاب المنَمـنَمِ   بمنعـرجِ الـوادي فويـق المهـزمِ
ـ أهم سرى أم عـاد للعـين عـائِر   أم انتابنـا مـن آخـرِ الليـل زائـر

ورغم تعلق كثير من هؤلاء الشعراء بالرواسم الشعرية التقليدية، إلا أن سمت المدرسة الحضرية كان أبرز وأوسع في هذه الفترة. فشكل القصيدة لم يتشعب ولم يمتد طويلاً. كما أن المعاني عندهم كانت إسلامية أقرب إلى الوضوح والسهولة، وإن زاوج هؤلاء الشعراء بينها وبين العناصر الموروثة، صوراً وتراكيب وألفاظاً، مع شيء من التحبير... ولو امتد بعمر زمان لتحول الشعراء إلى مجرى القصيدة الإسلامية، وعمقوا مجراها، ولكن لا مكان لها بعد استلام يزيد بن عبد الملك أزمـة الملك، وهو واحد من ملوك بني أمية.

الخاتمة:

بعد الجولة في رحاب الشعر والشعراء الذين استظلوا بولاية عمر بن عبد العزيز وخلافته. نستطيع أن نثبت الاستنتاجات الآتية:

- إن الشاعر لا يصدر من فراغ في عمله الفني. فهو يغترف من الخلفية الفكرية والثقافية. حتى ولو كانت تلك الأشعار اللاهية العابثة المتقلبة مع الشهوة والنزوة، لأنها صادرة عن تصورات منحرفة رفدت العمل الشعري، فصاغ على وحيها قصيدته. والتحول الكبير الذي انتاب الفن الشعري، وانحرف به عن المجرى الإسلامي، كان نتيجة لتحولات في المجتمع الإسلامي. ليس أقلها التحول بالحكم من الخلافة الراشدة إلى الملك العضوض، حيث اصطناع الشعراء، والإغداق عليهم من مال الأمة. كي يصدحوا على أفنان السلطة، ويكونوا مجناً لها من سهام المناوئين والمعارضين. ولذا ارتدوا إلى الشعر الجاهلي يستوحون مضامينه وقيمه وتقاليده.
- إن حركة التجديد التي قادها عمر بن عبد العزيز – رغم قصر أيامها – أرادت أن تعيد الفن الشعري إلى سبيل الرشاد. لأن الشعر وإن كان تنفساً فنياً، إلا أن له غاية يجب أن يتطلع إليها ويحققها، وهي غاية الكلمة في الحياة (قل كلمة حق، وأمسك عن باطل)، ولو أضحى على أيدي أصحابه وسيلة ارتزاق. فقطع الهبات عن الشعراء المتملقين، وصان سمعه عن نفاقهم وأباطيلهم. وهو أدرى بما بذلوه في غير الحق.
- كان عمر بن عبد العزيز قد جفا الشعراء الذين يمثلون صورة الحياة الفارغة من الاهتمامات الجليلة ؛ لأنهم يستهلكون طاقاتهم الشعرية، في الملابسات التافهة، ودفع الناس إلى الرذيلة، لما غفلوا عن رسالة فنهم في الحياة، كما غفلوا عن مغبة حصاد ألسنتهم يوم يسألون عنها. (إنك تساءل عن هذا).
- كان عمر بن عبد العزيز يدرك خطورة الكلمة على النفس البشرية، ولذا لم يغفل عن خواطره خشية فتنة تلك الكلمة أو القصيدة، وتراه يصغي إلى تلك الأشعار التي تحرك في القلوب كوامن الخير، وتمتري دموع الندم على التقصير، وأي خير أعظم من استقامة تهب عقبى حسنة في الآخرة.. وكان ينشد الصدق في القول والعمل.
- إن موقف عمر هذا من الشعر والشعراء ترك أثراً في الفن الشعري، إذ نزع الشعراء – على بساطه - إلى القصيدة الإسلامية، وإن لم يهجروا الموروث

الجاهلي. فانتعشت القيم الإسلامية، وتلألأت المآثر الإيمانية. وضوت التقاليد الجاهلية في قصائدهم. محاولة الانسجام مع سربال الخلافة الراشدة، بناء ومضموناً. ولكن الزمن لم يمهله للتمكين لذلك، فعادت بنيات الجاهلية إلى القصيدة الأموية بعده.

الهوامش:

(١) إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، الاعتصام، تحقيق سليم الهلالي، (السعودية: دار ابن عفان، ١٤١٢هـ)، ط ١، ج: ١، ص: ٤٢.

(٢) محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن أبي داود، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢١هـ)، ط ٢، ج: ٣، ص: ٢٣. وقال أحمد بن حنبل: إن الله يقيض للناس في رأس كل مئة من يعلمهم السنن، وينفي عن رسول الله الكذب. قال: فنظرنا، فإذا في رأس المئة عمر بن عبد العزيز.

(٣) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٣٩٨هـ)، ط بلا، ج: ٢، ص: ٤٢٢.

(٤) أحمد بن مروان الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، تحقيق مشهور آل سلمان، (البحرين: جمعية التربية الإسلامية) و(بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٩هـ)، ط ١، ج: ٣، ص: ١٨.

(٥) عبد الله بن عبد الحكم، عمر بن عبد العزيز، تحقيق أحمد عبيد، (القاهرة: دار الفضيلة، بيروت)، ط ٦، ص: ٢٣.

(٦) محمد أحمد عثمان الذهبي، تذكرة الحفاظ، (بيروت: دار الكتب العلمية، بلا تاريخ)، ط بلا، ج: ١، ص: ١١٨.

(٧) الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني، (العراق: إحياء التراث الإسلامي، بلا تاريخ)، ص: ٢٠٩.

(٨) علي بن الحسين (ابن عساكر)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ)، ط ١، ج: ٤٥، ص: ١٣٧.

(٩) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف، بلا تاريخ)، ط ٤، ج: ٦، ص: ٤٢٧.

(١٠) أحمد بن يحيى البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٧هـ)، ط ١، ج: ٨، ص: ١٢٨.

(١١) ابن الحكم، عمر بن عبد العزيز، ص: ١٦٦. الأحوص: هو عبد الله بن محمد بن عاصم الأنصاري، والأحوص لقب له، لحوص في عينه. من طبقة جميل ونصيب، وفد على الوليد بن عبد الملك، ونفاه عمر بن عبد العزيز إلى دهلك، وبقي فيها إلى ما بعد وفاته. كان سيء السيرة، مقدماً في النسيب.. قدم دمشق ومات فيها.

(١٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج: ٨، ص: ١٢٨.

(١٣) يوسف بن عبد الرحمن المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، (بيروت: دار الرسالة، ١٤٠٠هـ)، ط ٢، ج: ٢١، ص: ٤٣٨.

(١٤) ابن الحكم، عمر بن عبد العزيز، ص: ٢٢.

(١٥) ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، (مصر: دار الثقافة العربية ١٩٦٩) ط: بلا. ص: ٥٣.

(١٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج: ٤٥، ص: ١٦١.

(١٧) علي بن محمد الشيباني (ابن الأثير)، الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ط ٢، ج: ٥، ص: ٦٣.

(١٨) ابن عبد الحكم، عمر بن عبد العزيز، ص: ١٤٦.

(١٩) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق وداد القاضي، (بيروت: دار صادر، ١٤١٦هـ)، ط ٤، ج: ١، ص: ١١٨.

(٢٠) ابن عبد الحكم، عمر بن عبد العزيز، ص: ٣٥.

(٢١) محمد بن الحسين الآجري، أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز، (بيروت: مؤسسة الرسالة، بلا تاريخ)، ط ٢، ص: ٧٠.

(٢٢) محمد بن الحسن (ابن حمدون)، التذكرة الحمدونية، تحقيق إحسان وبكر عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٦م)، ط ١، ج: ١، ص: ١٥٣.

(٢٣) ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ص: ١٧٢.

(٢٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج: ٤٥، ص: ١٩٤. وانظر ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ص: ١١٣.

(٢٥) ابن عبد الحكم، عمر بن عبد العزيز، ص: ١٠٣ وما بعدها.

(٢٦) ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ص: ١١١.

(٢٧) أبو حيان، البصائر والذخائر، ج: ٣، ص: ١٦٦.

(٢٨) الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، ج: ٣، ص: ٦٢، وانظر ابن قتيبة في عيون الأخبار، ج: ٢، ص: ١٨.

(٢٩) عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق أبو ملحم، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤١٢هـ)، ط ٢، ج: ١، ص: ٢٥٤.

(٣٠) أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، تقديم خليل شرف الدين، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٠م)، ط بلا، ج: ١، ص: ٢٣٤. ذكر بعض الرواة أنه لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، قدم إليه وفد أهل الحجاز، فاشرأب منهم غلام للكلام، فقال عمر: يا غلام، ليتكلم من هو أسن منك. فقال الغلام: يا أمير المؤمنين، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا منح الله عبده لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد أجاد له الاختيار. ولو أن الأمور بالسن لكان ها هنا من هو أحق بمجلسك منك. فقال عمر: صدقت، تكلم، فهذا السحر الحلال. فقال: يا أمير المؤمنين، نحن وفد التهنئة، لا وفد المرزئة. ولم تقد منا إليك رغبة، ولا رهبة، لأنا قد أمنا في أيامك ما خفنا، وأدركنا ما طلبنا. فنظر محمد بن كعب القرظي إلى وجه عمر يتهال عند ثناء الغلام عليه. فقال: يا أمير المؤمنين، لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك، فإن قوم خدعهم الثناء،

وغرهم الشكر، فزلت أقدامهم، فهووا في النار. أعاذك الله أن تكون منهم، وألحقك بسالف هذه الأمة. فبكى عمر حتى خيف عليه. وقال: اللهم لا تخلنا من واعظ). انظر الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، ج: ١، ص: ١٠.

(٣١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج: ٦، ص: ٥٧٢.

(٣٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، (بيروت: دار إحياء التراث العربي – مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، بلا تاريخ)، ط بلا، ج: ٨، ص: ١٥٢.

(٣٣) أبو علي القالي، الأمالي وذيلها والنوادر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ)، ط ١، ج: ٢، ص: ١٧٨.

(٣٤) محمد أحمد عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من العلماء، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ)، ط ٢، ج: ٥، ص: ١٣٨.

(٣٥) إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملحم وعطوي، (القاهرة: دار أم القرى، بلا تاريخ)، ط بلا، ج: ٩، ص: ٢١٤.

(٣٦) المصدر السابق، ج: ٩، ص: ٢١٥.

(٣٧) الأصفهاني، الأغاني، ج: ٣، ص: ٤٢.

(٣٨) المصدر السابق، ج: ١٨، ص: ٣٢٧.

(٣٩) داود سلوم، شعر نصيب بن رباح، (بغداد: مكتبة الأندلس، ١٩٦٧م)، ط بلا، ص: ١٣٥. غلق الرهين، استحقه المرتهن، وذلك إذا لم يفتكك في الوقت المشروط.

(٤٠) عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد محمود شاكر، (القاهرة: عالم الكتب، بلا تاريخ)، ط ٢، ج: ١، ص: ٤٩٠.

(٤١) الأصفهاني، الأغاني، ج: ٢١، ص: ٤٠١.

(٤٢) عبد الرحيم بن أحمد العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: عالم الكتب، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م)، ط بلا، ج: ١، ص: ٤٦. وانظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج: ٦، ص: ٩٠.

(٤٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج: ٨، ص: ٢٠٠. يتبذى: يتكلم بالقبيح والبذيء من القول.

(٤٤) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص: ٤٩٠.

(٤٥) ديوان الفرزدق، شرح علي زيتون، (بيروت: دار الجيل، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م)، ط ١، ج: ١، ص: ١٥٦.

(٤٦) علي بن الحسين، المسعودي، مروج الذهب، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق سعيد اللحام، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٧هـ) ط: ١، ج: ٣، ص: ٢٠٣.

(٤٧) محمد بن يزيد المبرد، الكامل، تحقيق محمد أبو الفضل، (القاهرة: دار نهضة مصر لطباعة، بلا تاريخ)، ط بلا، ج: ٢، ص: ٢٧٧. وانظر أنساب الأشراف، ج: ٨، ص: ١٩٨. وتاريخ ابن عساكر، ج: ٤٥، ص: ٢٦٣.

(٤٨) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج: ٤٥، ص: ٢٦٨.

(٤٩) البلاذري، أنساب الأشراف، ج: ٨، ص: ١٩٩. وانظر القالي، الأمالي وذيلها والنوادر، ج: ٣، ص: ٣.

(٥٠) الأصفهاني، الأغاني، ج: ٨، ص: ٨٢.

(٥١) الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار الجيل، ١٤٠٦هـ)، ط بلا، ج: ١، ص: ١٣٨.

(٥٢) شعر الأحوص الأنصاري، تحقيق عادل سليمان جمال، (القاهر: مكتبة الخانجي، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م)، ط ٢، ص: ١٦٣.

(٥٣) الأصفهاني، الأغاني، ج: ٢١، ص: ١٠٢.

(٥٤) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، (مصر: دار المعارف، بلا تاريخ)، ط ٤، ص: ٣٥٠.

(٥٥) ديوان الأحوص، ص: ٢٠٧ – ٢١٤.

(٥٦) الأصفهاني، الأغاني، ج: ٢١، ص: ٩٧ وما بعدها.

(٥٧) عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٩هـ)، ط ١، ج: ٢، ص: ٤٩.

(٥٨) البلاذري، أنساب الأشراف، ج: ٨، ص: ١٢٨. البُلُس: جمع بلاس: وهي غرائر كبار يجعل فيها التبن. ويشهر عليها من ينكل به.

(٥٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، تقديم إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٤١٨هـ)، ط ١، ج: ٩، ص: ٢٠١.

(٦٠) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج: ٤٥، ص: ١٨٢.

(٦١) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى – في غزوة حنين – الأقرع بن حابس مئة بعير، وعيينة بن حصين مئة بعير، وأعطى العباس بن مرداس أباعر فسخطها، فقال يعاتب الرسول:

وما كان حصن ولا حابس يفوقان شيخي في المجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

قال ابن إسحاق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذهبوا به، فاقطعوا عني لسانه. فأعطوه حتى رضي. وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج: ٢، ص: ٤٣٩. والمقريزي، إمتاع الأسماع، ص: ٤٢٤. وديوان العباس بن مرداس، ص: ١٤١.

(٦٢) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق نعمان محمد أمين طه، (القاهرة: دار المعارف، بلا تاريخ)، ط ٣، ص: ٧٣٧.

(٦٣) ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر، ص: ٢١٨.

(٦٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج: ١، ص: ٤٣٠ – ٤٣٤.

(٦٥) الأصفهاني، الأغاني، ج: ٨، ص: ٤٨.

(٦٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج: ١، ص: ٤٦.

(٦٧) ديوان جرير، ج: ١، ص: ١٢٠. وليلى جدة عمر بن عبد العزيز أم أبيه عبد العزيز، بنت الأصبغ بن زبان الكلبي. وكعب بن مامة الإيادي، وابن سعد هو أوس بن حارثة الكائي، كانا من أجواد العرب.

(٦٨) ديوان جرير، ج: ١، ص: ٢٧٤.

(٦٩) و (٧٠) المصدر السابق، ج: ١، ص: ٤١٢. وج: ٢، ص: ٧٣٦. وانظر المبرد، الكامل في الأدب، ج: ٢، ص: ٢٧٣.

(٧١) الآية: ٦٠، سورة التوبة.

(٧٢) ديوان كثير عزة، جمع وتحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار الثقافة، بلا تاريخ)، ط بلا، ص: ٣٣٨.

(٧٣) المصدر السابق، ص: ١٦٤.

(٧٤) الأصفهاني، الأغاني، ج: ٩، ص: ١٩.

(٧٥) ديوان كثير عزة، ص: ١٦٥.

(٧٦) المصدر السابق، ص: ١٧٧.

(٧٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج: ٩، ص: ٢٢٠.

(٧٨) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج: ١، ص: ٥٠٤ – ٥٠٧. وانظر الأغاني، ج: ٦، ص: ٢٥٧.

(٧٩) الأصفهاني، الأغاني، ج: ٤، ص: ٤٢٦. وانظر خزانة الأدب، ج: ٢، ص: ١٧.

(٨٠) محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، (القاهرة: مطبعة المدني، بلا تاريخ)، ط بلا، ص: ٦٥٧.

(٨١) الأصفهاني، الأغاني، ج: ٩، ص: ٦٤.

(٨٢) المصدر السابق نفسه.

(٨٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص: ٥١٨. وأم جعفر هذه من الأنصار، بنت عبد الله بن عرفطة الأوسي من بني خطمة، وهناك رواية أخرى للبيت (سيبقى لكم...) وللأحوص فيها أشعار كثيرة، نالت النصيب الأكبر من الجزء السادس من كتاب الأغاني. ومنها:

أغار عليها أن تقبل بعلها   لعمر أبيها إنني لغيور
لقد منعت معروفها أم جعفر   وإني إلى معروفها لفقير

انظر ديوان الأحوص، ص: ١٥٤.

(٨٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج: ٨، ص: ١٨٨.

(٨٥) عادل سليمان جمال، مقدمة شعر الأحوص، ص: ٥٥.

(٨٦) الأصفهاني، الأغاني، ج: ٤، ص: ٢٤٧.

(٨٧) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص: ٥١٩. وانظر شعر الأحوص، ص: ١٢١. عزها: الذي يعرض عن النساء.

(٨٨) المصدر السابق، ص: ٥١٩. وانظر الأغاني، ج: ٤، ص: ٢٤٨. والغريب أن الدكتور يوسف حسين بكار، جامع شعر إسماعيل بن يسار نسب هذه الأبيات إليه، وإسماعيل هذا من سبي فارس، وهو من موالي تميم بن مرة، مرة قريش. فمن أين أتته القرابة من عمر بن عبد العزيز (انظر القصيدة رقم: ١٤٨ في ديوانه) (بيروت: دار الأندلس، ١٤٠٤هـ)، ط ١.

ويزيد الأصفهاني في الخبر: أن عمر بن عبد العزيز لما سمع قوله: (أفي الحق أن أقصى ويدنى ابن أسلما) قال: ذاك الحق. ويزيد بن أسلم: هو مولى عمر بن الخطاب، تابعي ثقة من أهل الحديث. الأجد: المقطوع أو اليابس.

(٨٩) البلاذري، أنساب الأشراف، ج: ٨، ص: ١٨٨. وانظر الديوان، ص: ١٤٢. ولم يشر جامعه إلى خبر البلاذري.

(٩٠) الأصفهاني، الأغاني، ج: ٤، ص: ٢٥٠.

(٩١) المصعب بن عبد الله الزبيري، نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، (مصر: دار المعارف، بلا تاريخ)، ط ٤، ص: ١٦٣.

(٩٢) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص: ٦٦٦.

(٩٣) و(٩٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج: ٥، ص: ١٨٠. وانظر ديوانه، ص: ٩٠.

(٩٥) شعر نصيب بن رباح، ص: ٧٩. نُصيب: بن رباح، مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر مقدم في النسيب والمدح. كان يعد مع جرير وكثير عزة. له مدائح أغلبها في عبد العزيز بن مروان، وولده عمر. تنسك في آخر حياته.

(٩٦) المصدر السابق، ص: ١٣٩.

(٩٧) الأصفهاني، الأغاني، ج: ١١، ص: ٢٨٢. أعشى ربيعة: عبد الله بن خارجة بن حبيب، من بني ربيعة بن ذهل بن شيبان، شاعر من شعراء بني مروان، مدحهم ونال هباتهم ونوالهم.

(٩٨) البغدادي، خزانة الأدب، ج: ٦، ص: ٣٨٥. عويف القوافي: أو (عوف) بن معاوية بن عقبة من بني حذيفة بن بدر الفزاري، من أشراف قومه في الكوفة، اشتهر في دولة بني أمية. مدح خلفاءهم. وسمي بـ (عويف القوافي) ببيت قاله.

(٩٩) الأصفهاني، الأغاني، ج: ١٩، ص: ٢١٠.

(١٠٠) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص: ٦١٠. دكين الراجز: ابن سعيد الفقيمي، من رجاز الدولة الأموية، كان منقطعاً إلى عمر بن عبد العزيز، فأكرمه ووصله. الدسائع: الرغائب الواسعة والعطايا العظيمة.

(١٠١) المبرد، الكامل، ج: ٢، ص: ١٧١. وانظر الجاحظ، كتاب الحيوان، ج: ٣، ص: ٥٢١. والثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق عبد السلام هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٩هـ)، ط بلا، ص: ٢٩٤. ونسب الأبيات إلى بعض ولد عيينة بن حصن. والأنوق: من أسماء العقاب. وهي الأنثى تبيض في رؤوس الجبال، فيبعد مطلبه ويسعر.

(١٠٢) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص: ٦٢٥. العجير السلولي: ابن عبد الله بن عبيدة بن كعب من بني سلول، من شعراء الدولة الأموية. كان جواداً. عده ابن سلام في شعراء الطبقة الخامسة من الإسلاميين.

(١٠٣) ديوان عدي بن الرقاع العاملي، جمع وتحقيق نوري القيسي وحاتم الضامن، (العراق: مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، ط بلا، ص: ٩٧. العائر: وجع في العين. النهال: العطاش. خامسات: وهي الإبل التي تشرب يوماً وترعى ثلاثاً، ثم ترد اليوم الخامس. الدعاثر: جمع دعثور: وهو الحوض الذي لم يتنوق في صنعته. خود: شابة حسنة ناعمة. بنات سحابه: البرد. حداهن: ساقهن. شؤبوب: الدفعة من المطر.

(١٠٤) المصدر السابق، ص: ١٢٨.

(١٠٥) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن باز، (القاهرة: المكتبة السلفية، بلا تاريخ)، ط بلا، ج: ١٠، ص: ١٦٢.

(١٠٦) محمد بن عمران المرزباني، معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار فراج، (دمشق: مكتبة النوري، بلا تاريخ)، ط بلا، ص: ٣٤٥.

(١٠٧) المبرد، الكامل، ج: ٤، ص: ٢٩.

(١٠٨) المرزباني، الموشح، ص: ٥٤. وانظر إحسان عباس، شعر الخوارج، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٤م)، ط ٢. ص: ١٩٣.

(١٠٩) ابن عبد الحكم، عمر بن عبد العزيز، ص: ٢١٤.

(١١٠) المصدر السابق، ص: ١٣٤.

(١١١) ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر، ص: ١٢٦.

(١١٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج: ٨، ص: ١٣٢. وانظر الجاحظ، البيان والتبيين، ج: ٢، ص: ٢٣٣. إذ ذكر أن هذه الأبيات قالها كعب الأشقري لعمر بن عبد العزيز. كعب بن معدان الأشقري الأزدي، أبو مالك، فارس شاعر خطيب، من شعراء خراسان، أرسله المهلب إلى الحجاج ليحدثه عن بلائه في حرب الأزارقة. وأنشده قصيدة رائعة نالت إعجابه.

(١١٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج: ٢، ص: ٢٣٣. وانظر البلاذري، أنساب الأشراف، ج: ٨، ص: ١٣٣. المبرد، الكامل، ج: ٢، ص: ٧٦. برواية أخرى للبيت، فصدر البيت الأول: (إن الذين أمرتهم أن يعدلوا)، وعجز البيت الثاني: (كل بنقص نصيبنا يتكلم). وانظر ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج: ٣، ص: ٢٠٩.

(١١٤) المبرد، الكامل، ج: ٢، ص: ٢٧٢. وابن عبد ربه، العقد الفريد، ج: ٦، ص: ٢١٠. برواية " حرمت عيالاً لا فواكه عندهم ".

(١١٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج: ٩، ص: ٢٢٣. سابق البربري: ابن عبد الله، أبو سعيد، من موالي بني أمية، والبربري لقب له، ولم يكن من البربر، سكن الرقة، من الشعراء الزهاد، كان يفد على عمر بن عبد العزيز فيستنشده.

(١١٦) ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر، ص: ١٨٧.

(١١٧) الأصفهاني، الأغاني، ج: ٦، ص: ٥٧.

(١١٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج: ٩، ص: ٢١٤.

(١١٩) الآيات: (٢٥ – ٢٨) سورة الدخان.

(١٢٠) الأصفهاني، الأغاني، ج: ١٣، ص: ١٩.

(١٢١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج: ٨، ص: ١٢٨.

(١٢٢) الأبيات الواردة هنا سبق تخريجها في الصفحات السابقة.

(١٢٣) أحمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر والشيال، (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، بلا تاريخ)، ط بلا، ص: ٣٣١.

(١٢٤) أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق جراف وجلاس، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات، ١٤١٥هـ)، ط ١، ج: ٤، ص: ٣٤٣.

(١٢٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج: ٨، ص: ١٣٩.

(١٢٦) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج: ٣، ص: ٢٦٠.

(١٢٧) ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر، ص: ٢٩٠.

(١٢٨) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج: ٩، ص: ١٢٣.
(١٢٩) محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجة، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، ط ٢، ج: ٢، ص: ٣٠٨.
(١٣٠) المصدر السابق نفسه.
(١٣١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج: ٨، ص: ٧٩.
(١٣٢) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م)، ط ٢، ص: ١٧٠.
(١٣٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج: ١، ص: ٢٣٢.
(١٣٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج: ٨، ص: ١٣٨.
(١٣٥) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج: ٣، ص: ٣١٦.

قائمة المصادر والمراجع:

(١) الآجري: أ(و بكر محمد بن الحسين، أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز، (بيروت: مؤسسة الرسالة، بلا تاريخ)، ط ٢.
(٢) ابن بكار: الزبير، الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني، (العراق: ديوان الأوقاف، إحياء التراث الإسلامي، بلا تاريخ)، ط بلا.
(٣) ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، (مصر: دار الثقافة العربية، ١٩٦٩م)، ط بلا.
(٤) ابن الخطفي: جرير، ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق نعمان محمد أمين طه، (مصر: دار المعارف، بلا تاريخ)، ط ٣.
(٥) ابن خلكان: أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، (بيرةت: دار صادر، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٨م)، ط بلا.
(٦) ابن خياط: خليفة بن أبي هبيرة، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق مصطفى فواز، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ط ١.
(٧) ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى، تقديم إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٤١٨هـ)، ط ١.
(٨) ابن سلام، محمد الجمحي، طبقات فحول الشعراء، شرح محمود محمد شاكر، (القاهرة: مطبعة المدني، بلا تاريخ)، ط بلا.
(٩) ابن عبد الحكم، عبد الله، عمر بن عبد العزيز، تحقيق أحمد عبيد، (القاهرة: دار الفضيلة، بلا تاريخ)، ط ٦.
(١٠) ابن عبد ربه: أحمد بن محمد الأندلسي، العقد الفريد، تقديم خليل شرف الدين، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٠م)، ط ٢.
(١١) ابن عساكر: علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ)، ط ١.
(١٢) ابن قتيبة الدينوري: عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد شاكر، (القاهرة، دار المعارف، بلا تاريخ)، ط ٢.

(١٣) ابن قتيبة الدينوري: عبد الله بن مسلم، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة،، (مصر: دار المعارف، بلا تاريخ)، ط ٤.

(١٤) ابن قتيبة الدينوري: عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، (مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية)، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٢٥م)، ط بلا.

(١٥) ابن قدامة المقدسي: عبد الله بن أحمد بن محمد، التبيين في أنساب القرشيين، تحقيق محمد نايف الدليمي، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ)، ط ٢.

(١٦) ابن كثير: إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملحم وزملائه، (القاهرة: دار أم القرى بلا تاريخ)، ط بلا.

(١٧) أبو حنيفة الدينوري: أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر والشيال، (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، بلا تاريخ)، ط بلا.

(١٨) الأخطل: غياث بن غوث التغلبي، ديوانه صنعة السكري، تحقيق فخر الدين قباوة، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٦هـ)، ط ٤.

(١٩) الأصفهاني: أبو الفرج، الأغاني، (بيروت: دار إحياء التراث العربي – مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، بلا تاريخ)، ط بلا.

(٢٠) بروكلمان: كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، (مصر، دار المعارف بلا تاريخ)، ط ٢.

(٢١) البغدادي: عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٩هـ)، ط ١.

(٢٢) البلاذري: أحمد بن يحيي، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار وزركلي، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٧هـ) ط ١.

(٢٣) بلاشير: ريجيس، تاريخ الأدب العربي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هـ)، ط ٢.

(٢٤) البهبيتي: نجيب محمد، تاريخ الشعري حتى آخر القرن الثالث الهجري، (الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٨٢م)، ط بلا.

(٢٥) الجاحظ: عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق علي بو ملحم، (بيروت: دار مكتبة الهلال، ١٤١٢هـ)، ط ٢.

(٢٦) الجاحظ: عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، (بيروت: دار الجيل، ١٤١٦هـ)، ط ٢.

(٢٧) الحوفي: أحمد محمد، أدب السياسة في العصر الأموي، (القاهرة: دار نهضة مصر، بلا تاريخ)، ط ٥.

(٢٨) الدينوري: أحمد بن مروان القاضي المالكي، المجالسة وجواهر العلم، تحقيق سليمان آل مشهور، (بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٩هـ)، ط ١.

(٢٩) الذهبي: محمد أحمد عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من العلماء، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ)، ط ٢.

(٣٠) رومية: وهب رومية، قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي (دمشق وزارة الثقافة، ١٩٨١م)، ط بلا. (٣٧)- الزبيري: المصعب بن عبد الله بن المصعب، نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، (مصر: دار المعارف، بلا تاريخ)، ط ٤.

(٣١) شعر الأحوص بن محمد الأنصاري، جمع عادل سليمان جمال، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م)، ط ٢.

(٣٢) شعر إسماعيل بن يسار، جمع يوسف حسين بكار، (بيروت: دار الأندلس، ١٤٠٤هـ)، ط ١.

(٣٣) شعر عباس بن مرادس السلمي، تحقيق يحيى الجبوري (بغداد: بلا دار نشر، ١٦٩٨م)، ط بلا.

(٣٤) الشايب: أحمد، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني الهجري، (بيروت: دار القلم، ١٩٧٦م)، ط ٥.

(٣٥) ضيف: شوقـي، تاريـخ الأدب العربي (العصر الجاهلي والإسلامي)، (مصر: دار المعارف، بلا تاريخ)، ط ٧.

(٣٦) الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف بلا تاريخ)، ط ٤.

(٣٧) العاملي: عدي بن الرقاع، ديوانه، جمع نوري القيسي وحاتم الضامن، (العراق: مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، ط بلا.

(٣٨) العباسي: عبد الرحيم بن أحمد، معاهد التنصيص على شواهد التخليص، تحقيق محمد محيـي الدين عبد الحميد، (بيروت: عالم الكتب، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م)، ط بلا.

(٣٩) الفرزدق: همـام بن غالب، ديوانه، شـرح علي زيتون، (بيروت: دار الجيل، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، ط ١.

(٤٠) القالي: أبو علي، الأمالي وذيل الأمالي والنوادر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ)، ط ١.

(٤١) القرطاجني: حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م)، ط ٢.

(٤٢) كثير عزة: بن عبد الرحمن بن الأسود، ديوانه، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار الثقافة، بلا تاريخ)، ط بلا.

(٤٣) المبـرد: محمد بن يزيد، الكامـل، تحقيق محمد أبو الفضل، (دار نهضة مصر للطباعة، بلا تـاريخ)، ط بلا.

(٤٤) المرزباني: محمد بن عمران، الموشح، تحقيق علي محمد البجاوي، (القاهرة: دار الفكر العربي، بلا تاريخ)، ط بلا.

(٤٥) المزي: يوسف عبد الرحمن، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، (بيروت: دار الرسالة، ١٤٠٠هـ)، ط ٢.

(٤٦) المسعودي: علي بن الحسين، مروج الذهب ومعارج الجوهر، تحقيق سعيد اللحام، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٧هـ)، ط ١.

(٤٧) نصيب بن رباح، شعره جمع داود سلوم، (بغداد: مكتبة الأندلس، ١٩٦٨م)، ط بلا.